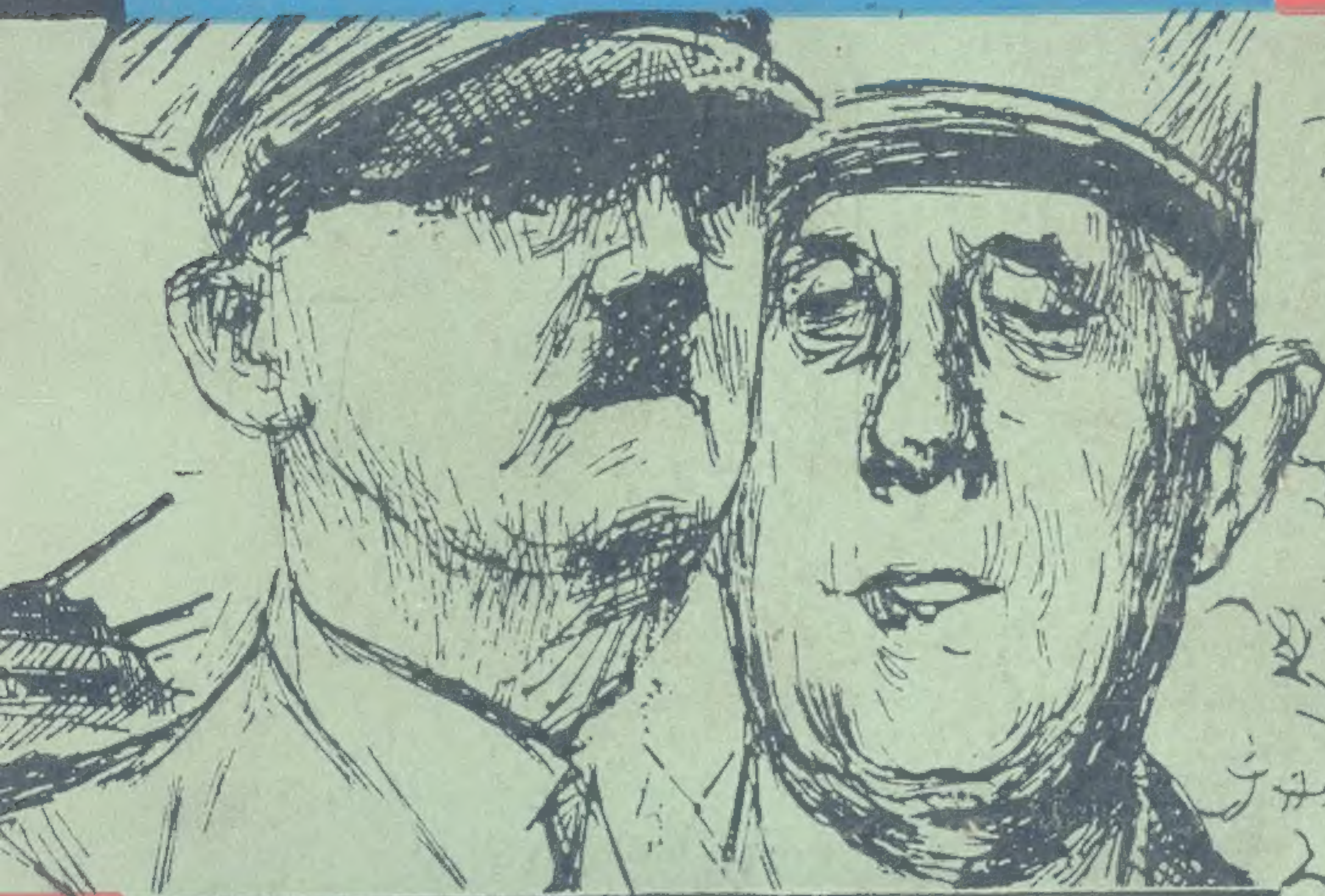


عميد الإمام

كتاب الجمهورية

٢



هل يارسى تخترق؟

تأليف: لارى كوتنر
دومينيك لايبير

الجزء الأول



٣٧

٥٩٠

مجلد
شماره اول
مهرماه ۱۳۵۸

خبر

کتاب جمهوری

العدد الثاني

مايو ١٩٦٩

كتاب الجمهورية

يصدر أول كل شهر
عن دار الجمهورية للصحافة

هل باريس تحترق؟

تأليف: لارى كولنز
دومينيك لاپير

عرض وتايص: عميد الامام

تقديم

« ان باريس يجب الا تسقط فى يد العدو ..
ولكن اذا حدث ذلك ، فيجب الا يجد فيها شيئا
غير أكوام من الحطام » !

كان هذا هو الأمر الرهيب الذى أصدره أدولف هتلر الى رئيس
أركان حربه وسائر أعضاء هيئة القيادة العليا للقوات الألمانية
المسلحة يوم الثالث والعشرين من أغسطس سنة ١٩٤٤

وقد أبلغ هذا الأمر على وجه السرعة من مقر القيادة العليا لهتلر
فى بروسيا الشرقية الى قائد منطقة باريس الكبرى ، كما أرسلت
صور منه الى القائد العام للجيش الألمانية فى الغرب والى قواد كافة
الجيش والعيالق والفرق الألمانية التابعة له .

وكان من المحتم أن يتم تنفيذ حكم الاعدام الذى أصدره هتلر ضد
أجمل عواصم الدنيا وأبهجها .. ولم يكن هناك مفر من أن يحل
الدمار الشامل بباريس العتيدة ، بكل ماتمثلة من تراث حضارى
عريق وبكل ماتحتوى عليه من تحف وكنوز وآثار ..

ولكن القدر أراد غير ما أراده هتلر .. فلم يعم الخراب العاصمة
الساحرة ، ولم يجثم الظلام الشامل فوق مدينة النور - كما
يسمونها - وفقا لما أراد الطاغية المجنون .

وكانت نجاة باريس من المصير الكئيب الذى أعده لها هتلر - والذى كانت جميع الظروف تؤكد أنه لامهرب لها منه - أشبه بالمعجزة .

كما كانت الايام التى تلت صدور أمر هتلر بتحويل باريس الى اطلال - والتى سبقته أيضا - أياما حاسمة فى تاريخ العاصمة الفرنسية وفى تاريخ الحرب العالمية الثانية كلها .

وهذا الكتاب هو سجل شائق مثير لتلك الايام المتخمة بالاحداث الجسام ..

وقد استمد عنوانه « هل باريس تحترق ؟ » من سؤال عصبى وجهه هتلر الى رئيس اركان حرب الجنرال - أوبرشت (أى الفريق الأول) الفريد يودل ، ليتأكد من انه قد بدأ بالفعل تنفيذ الأمر الذى كان قد أصدره بعدم ترك باريس للحلفاء الا بعد أن تكون قد التهمت النيران .

والكتاب يرسم صورة واقعية حية شاملة للأيام التى صمم هتلر خلالها على أن يحتفظ بباريس بأى ثمن ، والتى صمم خلالها أيضا على أن يحول باريس الى أكوام من الحطام والرماد قبل أن يتركها لأعدائه ، فى حالة عجزه عن الاحتفاظ بها ، وكذلك للأيام التى تم فيها تحرير العاصمة الفرنسية من قبضته المجنونة ، وانقاذها من الهلاك المحقق الذى أعده لها .

وهو يقدم هذه الصورة الشاملة النابضة بالحياة ليس فقط من خلال الوقائع والاحداث التاريخية ، ولكن كذلك من خلال التجارب الشخصية لمجموعة ضخمة من الرجال والنساء الذين عاشوا تطورات تلك الأيام المثيرة ، سواء فى باريس أو خارجها ، وسواء كأبطال تصدروا مسرح الاحداث وتسلطت الأضواء عليهم ، أو كأفراد مغمورين قابعين فى الظلام بعيدا عن الأنوار .

فالكتاب يتسابع بدقة ويوما بيوم ماجرى خلال تلك الفترة الحاسمة ، فى باريس نفسها ، وفى مقر القيادة العليا لهتلر ، وكذلك فى مقر القيادة العليا للحلفاء .. وفى مكان آخر كانت له صلة بالتجربة الفذة التى تعرضت لها باريس آنذاك .

ومثلما ينقل لنا أفعال وأقوال وتحركات وانفعالات هتلر وديجول وأيزنهاور وقائد منطقة باريس الألمانى وسائر قواد ألمانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وضابط المخابرات العسكرية الألمانية الكبير الذى كان فى الوقت نفسه عميلا للحلفاء - فهو ينقل لنا قصص عشرات من الناس العاديين الذين لعبت محنة باريس ومعركتها دورا رئيسيا فى حياتهم وشحنتها بأعنف الانفعالات والأحداث .

وقد كانت باريس فى شهر أغسطس من عام ١٩٤٤ ، تمثل أشياء مختلفة بالنسبة للذين كانوا يولونها اهتمامهم ، سواء كانوا من المشاهير والقادة أو من عامة الناس .

■ فبالنسبة لدكتاتور ألمانيا النازية أدولف هتلر ، كانت باريس تمثل فى ذلك الوقت الرمز المتبقى الأخير لأحلامه المتطلعة الى احتلال العالم ، علاوة على كونها المفتاح الاستراتيجى للسيطرة على فرنسا . ولذلك أصر على ضرورة الدفاع عنها حتى آخر جندي ألماني وآخر رصاصة ، وعلى ضرورة عدم السماح للحلفاء بالاستيلاء عليها إلا بعد أن تتحول الى أنقاض .

■ وبالنسبة للجنرال شارل ديغول كانت باريس هى المحور الذى يوشك مصير بلاده أن يدور حوله ، وكذلك مستقبله السياسى هو شخصيا .. ولذلك صمم على ضرورة أن يحرر الحلفاء باريس ، وأن تستقر حكومته هو فيها ، قبل أن يتمكن الزعماء الشيوعيون لحركة المقاومة من السيطرة عليها عن طريق الثورة المسلحة ..

● وبالنسبة للجنرال دوايت أيزنهاور كانت باريس تمثل عبئا يجب تحاشيه ، فاستخلاصها من محتليها الألمان كان سوف يفرض

عليه تحويل جزء كبير من المواد التموينية ومن الوقود ومن العتاد الحربي اليها ، فى حين كانت جيوشه فى أمس الحاجة الى هذه المواد . . . ولذلك كان مصمما على تأجيل تحرير العاصمة الفرنسية وأصدر تعليمات حازمة الى زعماء حركة المقاومة الفرنسية بعدم السماح بقيام ثورة مسلحة فى باريس الا بعد الحصول على موافقته . ■ وبالنسبة للكولوبيل « رول تانجى » القائد الشيوعى لحركة المقاومة الفرنسية فى باريس . . كان الاسنيلاء على باريس يستحق سقوط مائتى ألف من القتلى ، بشرط ان يتم تحرير العاصمة قبل أن يدخلها جندى نظامى واحد من جنود الحلفاء .

● وبالنسبة للجنرال ديتريش فون شولتيتز، القائد الذى اختاره هتلر بنفسه ليتولى الدفاع المستميت عن العاصمة الفرنسية كانت باريس مهمة أخرى عليه أن يقوم بها وفقا لتقاليد الانضباط البروسية التى يلتزم بها . وقد قال لدبلوماسى يمثل إحدى الدول المحايدة : « منذ سباستبول ، أصبح مضيرى هو أن أغطى انسحاب جيوشنا وأن أدمر المدن التى تتركها وراءها ، !

وبالنسبة للجندى بول لندريو كانت باريس هى البيت الذى غادره ذات مساء فى سنة ١٩٤٠ وهو يقول لزوجته أنه خارج لمدة عشر دقائق لشراء علبة سجائر . . وقد أصبحت الآن النهاية المبتغاة لزحف « صليبي » قطع خلاله ١٨٠٠ ميل عبر أفريقيا وأوروبا مع قوات فرنسا الحرة التى يقودها الجنرال فيلب لكليز .

● وبالنسبة للفتاة الجميلة أنتوانيت شاربونيه كانت باريس « عالما من القوة والجمال والرجولة » خلال سنوات الاحتلال التى قضتها برفقة صديقها الضابط الالمانى الوسيم هانز فيرنر ، وقد أصبح تحريرها الآن يعنى الفضيحة والتشهير و « نهاية كل شئ » .

● وبالنسبة لبيير ليفوشو أحد المساجين السياسيين الذين كان يضمهم أحد سجون الجستابو والذين كانوا ينتظرون ترحيلهم

الى معسكرات الاعتقال في المانيا .. كانت باريس أمنية لا يسمح
لنفسه بأن يجعلها تطوف بمخيلته ، ولا حتى في الأعلام !
ومن خلال النظرات المختلفة لهؤلاء الناس ولكثيرين جدا غيرهم ،
الى باريس .. ومن خلال مواقفهم في أثناء محنتها .. ينسج لنا
الكتاب لوحنه الحية الشاملة التي تصور الايام الحاسمة التي مرت
بها باريس في صيف عام ١٩٤٤

وقد اشترك في تأليف هذا الكتاب اثنان من الصحفيين احدهما
أمريكي والآخر فرنسي .

والأمريكي هو **لاري كولنز** الذي عمل مدير المكتب مجلة «نيوزويك»
في باريس ، وقضى أربع سنوات قبل ذلك كمراسل اجنبي في
الشرق الأوسط وشمال افريقيا ..

أما الفرنسي فهو **دومينيك لايبير** الذي كان من محرري مجلة
«باري - ماتش» البارزين ، وعمل مراسلا لها في أوروبا وكوريا
وروسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية . وقد عاش فترة الاحتلال
الاماني وأيام التحرير في باريس ..

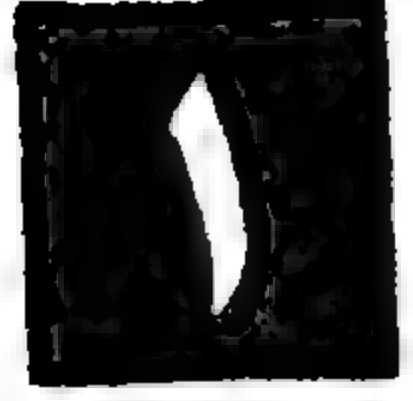
وقد استغرق اعدادهما للكتاب حوالي ثلاثة أعوام ، وتعاون
معهما في جمع مادته عدد كبير من المساعدين .. من بينهم صحفية
من أصل لبناني تعمل في باريس ، اسمها «هي جنبلاط»

وقد أتيح لهما أن يطلعا على كافة الوثائق الرسمية المتعلقة بالفترة
التي يتناولها الكتاب سواء في باريس أو بون أو واشنطن أو لندن
وقد استمد المؤلفان كثيرا من المعلومات أيضا من عدد من كبار
الضباط الالمان الذين كانوا أعضاء في هيئة أركان حرب هتلر ، وفي
قيادة الجيوش الألمانية في غرب أوروبا ..

واجتمع المؤلفان أيضا بالجنرال آيزنهاور الذي كان القائد
العام لقوات الحلفاء في أوروبا الغربية ، وبكبار القواد العسكريين
الأمريكيين .. وكذلك بكبار قوادفرنسا وقادة حركة المقاومة السرية
• في أثناء الاحتلال ، واستعاننا بذكرياتهم جميعا في تكوين الصورة
الشاملة الامينة الشائقة التي أعدها .

الجزء الأول

التهديد



لم يكن يتأخر عن مواعده أبدا . وكل مساء عندما كان الالماني يصل حاملا سلاحه « الماوزر » القديم ، والعلبة الجلدية المتآكلة التي تحتوى على منظاره الكبير ، والوعاء الذى يضع فيه عشاءه . . كان سكان قرية « مى - ان - مولتيان » يعرفون ان الساعة قد أصبحت السادسة . وعندما كان يعبر ساحة القرية المرصوفة بالحجارة ، كانت أجراس كنيسة « سيدة الصعود » التي يعود تاريخ بنائها الى القرن الثانى عشر تبدأ دائما فى اعلان حلول موعد صلاة المساء من برجها المشرف على اسطحة منازل القرية من فوق موقع الكنيسة العالى على قمة تل مجاور لنهر أورك ، على بعد ٣٧ ميلا فى الاتجاه الشمالى الشرقى من باريس .

وكان الالماني - وهو عريف فى السلاح الجوى الالماني بدأ الشيب يخط رأسه - يتجه دائما الى مصدر ذلك الرنين الهادىء مباشرة . وعند باب الكنيسة كان يخلع لباس رأسه قبل ان يدخل ، ثم يأخذ فى ارتقاء السلالم المستديرة الضيقة المؤدية الى برج أجراس الكنيسة فى خطوات بطيئة . هناك عند القمة كانت توجد منضدة ، ومصباح يعمل بالجاز ، ومقعد . . وهى أدوات مصادرة من الكنيسة التي يعلوها البرج . وعلى المنضدة وضعت بعناية خريطة من خرائط هيئة إركان الحرب الالمانية ، ودفتر ،

ونتيجة ، وجهاز تليفون ميدان لونه مزيج من الأخضر والرمادى .
قُبرج كنيسة « سيدة الصعود » كان نقطة مراقبة تابعة للسلاح
الجوى الالمانى .

من هنا ، كان فى استطاعة الالمانى أن يستعرض المنطقة بأسرها
من خلال منظاره المكبر ، وأن يجيل بصره عبر منطقة تمتد مسافة
١٣ ميلا .

بعد ساعات قليلة سوف يخيم الظلام على المنظر الهادىء
الممتد تحت عدستى منظار العريف . . وعندئذ تبدأ نوبة سهر
جديدة بالنسبة له هى نوبته الثامنة والخمسون منذ الاحتلال .
فيظل يحرق فى الأفق ، ويطل فى الظلال الى أن ينتهى الليل . .
ومع خيوط الفجر الأولى ، يرفع سماعة تليفونه ، ويبلغ تقريره
الى قيادة المنطقة الجوية فى « سواسون » .

وقد كانت بلاغات العريف واحدة لا تتغير خلال الأيام الاثنى
عشر التى انقضت على اكتمالِ البدر الاخير ، وهى : « لا شىء
للابلاغ عنه من قطاعى » .

وكان الالمانى يعرف أن الحفء يسقطون مظلاتهم الى حركة
المقاومة السرية دائما فى ضوء البدر المكتمل . . ولن يكتمل البدر
ثانية - كما تنبئه النتيجة الموضوعة فوق منضدته - الا بعد ست
عشرة ليلة ، أى ليس قبل مساء الثامن عشر من أغسطس .

لذلك كان واثقا من أنه لن يحدث شىء فى هذه الليلة فى هذا
الجيب الصغير من فرنسا المحتلة المعهود اليه بالسهر عليه ، وكان
متأكدا من أنه يستطيع فى هذه الليلة - ليلة الثانى من أغسطس
سنة ١٩٤٤ - أن يضع رأسه فوق المنضدة التى تهتز تحت ثقله وأن
يغفو وهو مطمئن .

لكن الالماني كان مخطئاً .

فبينما كان مستغرقا فى النوم ، وعلى بعد ميلين اثنين منه وفى حقل مبتل مزروع بالقمح ، كان هناك رجلان وامرأة يوزعون انفسهم بحيث يشكلون اطراف مثلث .. وهو الشكل الذى تحدده المقاومة السرية للاماكن التى تتلقى فيها ما يلقي عليها بواسطة المظلات .

وكان كل من الاشخاص الثلاثة يحمل مصباحا يعمل بالبطارية ، مغلقا فى ماسورة من الصفيح . وكانت هذه المصابيح المحاطة بالمواشير عندما توجه الى اعلى ، تطلق عامودا نحىلا من الضوء ، لا يمكن رؤيته الا من فوق .

ووقف الرجلان والمرأة كل فى مكانه ينتظر .. وبعد منتصف الليل بفترة قصيرة ، سمعوا الصوت الذى كانوا ينتظرونه ، وهو الهدير المنخفض لحركات قاذفة قنابل من طراز « هاليفاكس » ابطىء سيرها وخنق صوت محركاتها اثناء تحليقها الهادىء فوق وادى نهر اورك .. فأضاءوا أنوار مصابيحهم .

ولمح قائد الطائرة الذى كان يحدد نظره فى وادى النهر المظلم ، أنوار اطراف المثلث الخافتة التى كانت تنطفئ وتضىء .. ضغط على زر أمامه اطفأ النور الأحمر الذى كان مضاء داخل عنبر طائرته وأضاء نورا أخضر بدلا منه .

عندئذ أمسك رجل كان ينتظر فى العنبر بجانبى باب العنبر الصغير المفتوح ، وألقى بنفسه فى ظلام الليل .

وبينما كان يهبط فى صمت نحو الأرض الفرنسية ، كان طالب الطب الشاب «الان بيربيزا» يحسن حول وسطه شد الحزام المتلف عليه الذى يحتوى على خمسة ملايين من الفرنكات . ولكن تسليم

هذا المبلغ الكبير لم يكن هو السبب الذى قفز من أجله فى ظلام تلك الليلة من ليالى شهر أغسطس .

ففى داخل نعل فردة حذاء « الان بيريزا » اليسرى ، كانت قد وضعت قطعة صغيرة من الحرير فى سمك أجنحة الحشرات الطائرة ، طبعت عليها ثمانى عشرة مجموعة من رموز الشفرة .

وكانت الرسالة المطبوعة على تلك القطعة الصغيرة من الحرير ، هامة وعاجلة فى نظر رؤساء « بيريزا » فى لندن ، الى حد دفعهم لان يخالفوا جميع القواعد التى يسبغون عليها ، وان يعيشوا به ليهبط فى ظلام تلك الليلة لى يتولى تسليمها .

ولم يكن « بيريزا » يعرف ما تتضمنه الرسالة التى يحملها ، وانما كان كل ما يعرفه هو ان عليه ان يوصلها فى أسرع وقت ممكن الى رئيس المخابرات السرية البريطانية فى فرنسا ، الذى يعرف بالاسم المستعار « جاد اميكول » . وكان مقره فى باريس .

كانت الساعة قد بلغت الساعة صباحا عندما نفّض « بيريزا » عنه آخر عيدان التبغ التى علقت به من كوم التين الذى قضى فوقه الليلة مختبئا . واختار ان يصل الى باريس من أسرع الطرق المتاحة له ، وهو ان يطلب من السيارات المتجهة الى العاصمة حمله فى طريقها .

وكانت اول سيارة مرت به على طريق فرنسا رقم ٣ ، سيارة نقل تابعة للسلاح الجوى الالماني ، ما كادت تتجاوزه ببضعة امتار حتى توقفت ، وفى مؤخرتها أربعة جنود المان على رؤوسهم خوذااتهم الحديدية ، وقفوا عند سور مؤخرة السيارة يحدقون فيه .

ورأى « بيريزا » باب السيارة يفتح ، وسائقها يشير اليه ان يقترب . فى تلك اللحظة تخيل « بيريزا » ان حزام النقود الذى يحيط بوسطه يزن مائة رطل .

أمن الألماني النظر إليه ثم سأل بالأمانية :

— هل أنت ذاهب الى باريس ؟

فهز طالب الطب الشاب رأسه بالإيجاب ، وصعد والدم بكاد
يتجمد في عروقه الى المقعد الدافئ بجوار السائق

عندئذ تحرك الألماني بالسيارة .. وفي مقدمتها ، احد عمل
المخابرات الشاب الذي يحمل الرسالة الى رئيس المخابرات
البريطانية في فرنسا ، يتأمل الطريق المؤدى الى باريس .

* * *

كانت الراهبات التسع راكعات في ظلال كنيستهن السميرة
يرددن سبيحهن الثالث لذلك اليوم ، عندما مزق السكون الذي
يغلف ديرهن صوت جرس الباب وهو يرن ثلاث مررات رنيناً طويلاً
تبعته رنة قصيرة .

عند سماع صوت الرنين نهضت اثنتان منهن على الفور ،
وأنهتا صلاتهما برسم علامة الصليب ، وخرجتا . نوبين جرس
الباب ثلاث مررات طوال ثم مرة قصيرة بعد ذلك كان يعنى للاخت
جان رئيسة الراهبات وللأخت جان ماري فباني مساعدتها ، ان باب
الدير الذي يحمل رقم ١٢٧ بشارع لاسانتيه يستقبل « زيارة
هامة » .

كان الجستابو قد أمضى السنوات الأربع الماضية وهو يفتش
في استماتة عن رجل يختبئ في هذا الدير .. فهناك ، وراء
غرفة الحلوس في هذا المبنى القديم الخشن المقام عند ملتقى
قطعة أرض خالية بالجدران الحجرية العالية لمستشفى سانت آن
للأمراض العقلية ، كان يوجد مقر « جاد اميكول » رئيس
المخابرات السرية البريطانية في فرنسا المحتلة . وفي حماية
تلك الأحجار القديمة ، والشجاعة الهادئة لحفنة من الراهبات ،

استطاع مقره أن يتحدى جميع حملات التفتيش التي لم تكن تنقطع ، والنى كان يشنها الجستابو بحثا عنه .

وكان ذلك الدير هو المكان الذى انعقد فيه فى سنة ١٩٤٣ . اجتماع سرى بين الادميرال الالمانى فيلهلم كانارس رئيس المخابرات العسكرية الالمانية الذى أخذ اليه بعد ان عصبت عيناه ، وبين رئيس المخابرات البريطانية السرية فى فرنسا .

فقد أراد كانارس أن يعرف من تشرشل ما سوف تكون عليه الشروط التى يمكن أن تقوم عليها فيما بعد معاهدة صلح بين الحلفاء والمانيا بعد أن تكون قد تخلصت من هتلر . بعد ذلك الاجتماع بخمسة عشر يوما وصل الرد من تشرشل . كان ذلك الرد هو ان الشروط هى « استسلام المانيا بلا قيد ولا شرط »

بعد أن مضى عام ونصف عام على هذا الحادث ، تم اعدام كانارس بسبب الدور الذى قام به فى المؤامرة الشهيرة ضد هتلر التى أصبحت تعرف باسم مؤامرة ٢٠ يوليو او مؤامرة الجنرالات . فتحت الأخت جان الفتحة الصغيرة فى باب الدير الكبير الثقيل ، ورات أمامها وجه شاب صغير .

قال لها الشاب :

— اسمى « الان » .. ومعنى رسالة للكولونيل . .

فتحت الأخت جان الباب الكبير وخرجت الى العتبة نفسها لتتأكد من أن الشاب قد جاء وحده ومن انه لم يتبعه أحد الى الدير .. ثم أومأت له أن يدخل .

وفى غرفة الجلوس وتحت صورة متواضعة للقسيس انغمور الذى أسس نظام رهبنة « عذاب سيدنا المبارك » الذى يتبعه الدير .. جالس « الان بيربيزا » فردة حذاءه اليسرى .. وبواسطة سكين أتت بها اليه الأخت جان شق نعل الحذاء وأخرج منه قطعة الحرير

الصفيرة التي خاطر من أجلها بحياته . ثم تناولها الى العملاق
الأزرق العينين الذي بدأ الصلح يزحف الى رأسه الجالس في
المقعد المجاور لمقعده .

ونظر الكولونيل كلود أوليفر - الذي كان يحمل الاسم
المستعار « جاد أميكول » - الى الرموز السوداء المطبوعة عليها ،
ثم طلب من الأخت جان أن تحضر اليه مفتاح الشفرة الذي يحل
بواسطته رموز الرسائل التي يتلقاها .

وكان مفتاح الشفرة مطبوعا على منديل في سمك شفرة
الحلاقة ، مصنوع من نسيج قابل للهضم وقابل لأن يذوب على
لسانه في ثوان اذا ما اضطر الى أن يبلعه . . وكانت الأخت جان
تخبئه في كنيسة الدير الصغيرة تحت حجر المذبح .

فام أوليفر بتطبيق مفتاح الشفرة على الرسالة التي حملها اليه
بيريزا .

كانت تلك الرسالة تقول ان قياده الحلفاء مصممة على « تخطي
باريس وتأخير تحريرها لأطول مدة ممكنة » .

واضافت الرسالة قولها : انه لا يمكن السماح لأى اعتبار بأن
يغير هذه الخطط . . وكانت الرسالة تحمل توقيع « جنرال » وهو
الاسم المستعار لرئيس المخابرات العام . . كما انه توقيع لا يوضع
الا على الرسائل ذات الأهمية العظمى .

رفع الكولونيل نظره الى بيريزا . . وصمت برهة ثم قال .
- يا الهى . . هذه كارثة !



بالسبة للمدينة الممتدة وراء جدران الدير الذي يختبئ فيه
« جاد أميكول » كان صباح ذلك اليوم الدافئ من أيام شهر
أغسطس ، هو صباح اليوم الثالث بعد الخمسمائة والالف من أيام
الاحتلال الألماني لها .

وعندما بدأت الساعة تدق معلنة حلول الساعة الثانية عشرة ،
بدا الجندي الألماني فريتز جوتشولك - كما فعل كل يوم خلال
الأعوام الأربعة الماضية - ومعه الجنود المائتان والتسعة والأربعون
الذين تتألف منهم وحدته .. بدأوا مسيرتهم العسكرية اليومية
في شارع « الشانزليزيه » متجهين نحو ميدان « الكونكورد » .
وأمامهم كانت تسير فرقة موسيقية عسكرية تعزف على الآلات
النحاسية مارش « مجد بروسيا » .

لكن عدد الباريسيين الذين وقفوا على أرصفة ذلك الشارع
المهيّب يشهدون العرض العسكري الألماني اليومى ، كان أقل من
قليل .. فقد تعلم أهالى باريس منذ مدة ان يتجنبوا ذلك المنظر
المذل المهين .

ولم يكن ذلك العرض العسكرى اليومى الا واحدا من اعمال
الاذلال العديدة التى تعين على عاصمة فرنسا أن تتعلم كيف
تحتملها منذ الخامس عشر من يونيو سنة ١٩٤٠ . فقد كان المكان
الوحيد الذى يستطيع فيه الفرنسى أن يرى علم بلاده فى عرض عام
فى باريس هو متحف الجيش بقصر «الانفاليد» . حيث كان هذا
العلم معروضا فى أحد الصناديق الزجاجية المفلقة .

كان علم المانيا النازية بصليبه المعقوف والوانه السوداء
والبيضاء والحمراء يتحدى المدينة من أعلى النصب الذى كان هو
شعارها . . وهو برج ايفل ، كما كان ذلك العلم الذى تتمثل فيه
غطرسة المحتل المنتصر يرفرف فوق مئات الفنادق والمباني العامة
والعمارات الخاصة التى صادرها غزاة باريس ، رمزا للحكم الذى
استعبد منذ أربع سنوات روح اجمل مدن الدنيا

وعلى طول « البواكى » الرشيقة فى شارع « ريفولى » وحول
ميدان « الكونكورد » وامام قصر « لوكسمبورج » ومقر مجلس
النواب ومبنى وزارة الخارجية « الكى دورسى » كانت الأكشاك
الخشبية المطلية بالأسود والأبيض والأحمر التى يستخدمها جنود
الحراسة الألمان تحول بين الباريسيين وارصفة مدينتهم .

امام المبنى رقم ٧٤ بشارع « فوش » والمبنى رقم ٩ بشارع
« السوسى » وكثير غيرهما من المباني ، كان رجال آخرون يتولون
الحراسة . كانوا يضعون على ياقات ستراتهم العسكرية الشعارات
الفضية لفرق الصاعقة الالمانية التى تمثل وميض البرق ، وكانوا
يحرسون مكاتب الجستابو .

ولم يكن جيرانهم ينامون نوما هادئا دائما . . فكثيرا ما كان
يصعب على محتلى تلك المباني أن يكتموا الصرخات التى كانت تنطلق
منها فى كل ليلة تقريبا .

وكان الالمان قد غيروا حتى وجه المدينة . فحوالى المائتين من اجمل تماثيلها النحاسية كانت قد انتزعت من اماكنها وشحنت الى المانيا لصهرها وتحويلها الى اغلفة لقنابل المدافع .

وكان مهندسو المنظمة العمالية « تودت » الموالية للالمان قد استبدلوا بتلك التماثيل زخارف أخرى تتفق اكثر منها مع مزاجهم ولربما كانت الزخارف الجديدة اقل جمالا من تلك التى حلت محلها، ولكنها كانت - قطعاً - اكثر فاعلية منها . ففي ارضفة باريس كانوا قد غرسوا حوالى مائة مركب محصن من الاسمنت المسلح . وكانت اجزاؤها العليا التى ترتفع فوق الارصفة تبدو كالبثور القبيحة على وجه المدينة الجميا

وكان حشد متشابك من اللافتات الحشوية البيضاء قد نبت كالاشجار الطفيلية فى ميدان الاوبرا امام مقاعد مقهى « كافيه دي لايب » وكانت الاشارات والكلمات الالمانية السوداء التى تحملها تلك اللافتات قد وصفت لارشاد السائقين الالمان الى ايداف تتناقض اصنافها بوضوح مع كل ما هو فرنسى . مثل : مقر الحاكم العسكري فى فرنسا . وقباضه « اللوفتفانغ » له السلاح الجوى الالمانى . الى غير ذلك . فى ذلك الصيف كانت اذىفت لافتة جديدة اليها ، اصبحت كلماتها تثير الامل والاستيشار فى نفوس الهائمين الذين يمرون بها . كانت تلك اللافتة تحمل كلمات : الى جبهة . رماندى .

ولم يكن قد حدث من قبل ان اقترنت شوارع باريس على هذه الصورة . لم يكن هناك سيارات اوتوبيس ، وسيارات الاجرة كانت قد اختفت منذ سنة ١٩١٤ . اما السائقون القلائل الذين اتاح لهم

حظهم الطيب - أو تورطهم العميق فى التعاون مع المحتلين -
الحصول على رخصة المانية تسمح لهم بتسيير سياراتهم ، فقد
كانوا يستخدمون الحطب كوقود للسيارات . وكانوا يحرقون
الحطب الذى يوفر لسياراتهم الطاقة فى « غلايات غسيل » ملصقة
بمقدماتها .

وكانت الدراجات والخيول هى سيدة الشوارع . بل كانت
الدراجات قد حلت مكان سيارات الأجرة . فبعض سائقي
التاكسيات كانوا قد حولوا سياراتهم الى « حناطير » وحولوا
انفسهم الى خيول ، وذلك عن طريق قص سياراتهم من النصف
تاركين أجزاءها الخلفية فقط مرتكزة على عجلتى المؤخرة .
وأصبحت هذه المركبات تسمى « فيلو - تاكسى » أى التاكسيات
التي تسير بالدراجات ، اذ كان أصحابها يجرونها وهم راكبون
دراجاتهم .

ومن أجل الخدمة السريعة ، كانت هناك تاكسيات « سوبر
فيلو - تاكسى » يجرها أربعة من راكبي الدراجات . أما أكثرها
سرعة فقد كان يجرها مجموعة من الرياضيين السابقين الذين
كانوا فى السابق من أبطال « التور دى فرانس » أى « سباق
الدراجات حول فرنسا » الشهير . وكانت أغلب هذه المركبات
التي يحركها الأدميون تحمل أسماء لها طليت باللون الأسود على
ظهرها ، وكان أكثر الأسماء شيوعا بينها هو « العصر الحديث » .

أما « المترو » فكان يتوقف عن السير فيما بين الحادية عشرة
صباحا والثالثة بعد الظهر فى أيام العمل ، وكان يتوقف تماما فى
أيام العطلة . وفى المساء كان عمله ينتهى فى الحادية عشرة ، وكان
نظام منع التجول يبدأ عند منتصف الليل .

وعندما كان الألمان يضبطون باريسيا فى الشوارع بعد حلول
موعد منع التجول ، كانوا يأخذونه الى مقر رئاسة الشرطة العسكرية

حيث يقضى الليلة في مسح أحذيتهم . ولكن لو كان أفراد المقاومة السرية قد أطلقوا النار على جندي الماني في تلك الليلة ، فان عقوبة من يفوته آخر قطار « مترو » تصبح أكثر صرامة ، وقد تكون مواجهة فرقة ضرب نار . فقد كان الألمان يحبسون ان يختاروا الضحايا الذين يعدمونهم انتقاما لرجالهم القتلى ، من بين من بخرقون نظام منع التجول .

وكانت مقاهي باريس تمتنع عن تقديم الخمر ثلاثة أيام في الأسبوع وتقدم بدلا منها قهوة صناعية كريهة اطلق عليها اسم « القهوة الوطنية » وكانت تصنع من ثمار شجر البلوط ومن الفاصوليا الجافة .

وكانت باريس مدينة بلا جاز تقريبا وبلا كهرباء . وكانت ربان البيوت فيها قد تعلمن الطهو فوق مجموعة من الصفائح تتسع كل منها لعشرة جالونات ملتحمة ببعضها ، وتعرف باسم « سخانات ٤٤ » . وكن يستخدمن كوقود أوراق الجرائد بعد ان يحولنها الى كرات صغيرة جدا ويرششنها بالماء . فبهذه الطريقة كانت تلك الاوراق تشتعل ببطء أكثر .

وقد علق أحد المحال التجارية اعلانا ذكر فيه أن جريده تتألف من ست صفحات يمكنها أن تجعل لترا من الماء يغلى خلال اثنتى عشرة دقيقة .

ولكن قبل كل شيء ، كانت باريس مدينة جائعة . وقد تحولت الى أكبر قرية ريفية في الدنيا . ففي كل صباح كانت تستيقظ على اصوات صياح الدواجن التي أصبحت تملأ أسطحه بيوتها وأحواشها وبدروماتها وأحيانا حجرات نومها وكل مكان آخر تستطيع أن تعثر عليه ملايين المدينة الجائعة لتربيتها فيه . كما كان أطفال باريس وسيدات المسنات يتسللون من بيوتها كل صباح ليقطعوا من حدائقها العامة بعض الحشائش المحظور قطعها ليطعموا بها الأرانب التي يحتفظون بها في أحواض الاستحمام .

فى شهر اغسطس ذاك كان الباريسيون يحصلون بموجب بطاقات التموين التى صرفت لهم ، على بيضتين وربيع رطل من زيت الطهو وكمية اقل من المسلى الصناعى . اما كمية اللحم التى كانت توزع عليهم فقد كانت ضئيلة الى حد كان يمكن معه - كما كانت تقول احدى النكت الشائعة - لفها فى تذكرة المترو . . بشرط ألا تكون التذكرة قد استعملت . فلو كان محصل المترو قد خرم التذكرة فمن المحتمل ان تسقط قطعة اللحم من الخرم !

اما قوام غذاء معظم الباريسيين ، فقد كان نوعا منحطا من القربيط كان مخصصا قبل ذلك لاطعام المواشى .

بالنسبة لمن كان لديهم نقود ، كانت هناك السوق السوداء ، وكانت الوجبة الغذائية لأربعة اشخاص تتكلف فيها ٦٢٥ فرنكا . . وقد كان المرتب الشهرى للسكرتيرة فى ذلك الصيف هو ٢٥٠ فرنك .

وكان ثمن البيضة الواحدة أربعين سنتا ، أى حوالى نصف الدولار وثمان رطل الزبدة عشرة دولارات .

اما الذين لم تكن لديهم نقود ، فكان الطريق الوحيد أمامهم لتعويض مالا توفره لهم بطاقات التموين هو ركوب الدراجات لمسافات تتراوح بين العشرين والأربعين ميلا والبحث فى الأرباب عن فلاح لديه دجاجة أو حزمة خضراوات يريد بيعها

وكانت ملصقات حكومة فيشى التى تحت العمال الفرنسيين على « الاتحاد مع اخوانهم الألمان » أو على الانضمام الى « فرقة مقاومة البلشفية » تملأ جدران باريس . وكانت الصفحات الاولى من الجرائد المتعاونة مع الألمان تعلن أن « العمل فى ألمانيا ليس ترحيلا ، وتذكر تقلا عن برلين ان « هيئة أركان الحرب الألمانية لم تكن فى يوم من الأيام ممثلة ثقة فى المستقبل كما هى الآن » . ولكن صفحاتها

الداخلية كانت تحمل اعلانات متوارية صغيرة عن محلات « مستعدة لنقل الاثاث لمسافات بعيدة بواسطة الخيل » .

ولكن مع هذا كله ، فان باريس كانت قد تمكنت بطريقة ما من الاحتفاظ بقلبها « بهيجا ومرحا » على حد تعبير الكاتب الأمريكى أليوت بول . نساؤها الجميلات كن يبدون أكثر جمالا مما كن فى أى وقت . وكانت أربعة أعوام من الغذاء الناقص ومن ركوب الدراجات يوميا قد قللت من طراوة أجسامهن وجعلت سيقانهن نحيفة . وفى ذلك الصيف كن يغلفن شعورهم بغللات ، أو يرتدين قبعات واسعة موشاة بالزهور الصناعية تبدو وكأنها من مخلفات عصر مضى أو كأنها أخذت من لوحات الرسام رينوار .

وفى شهر يوليو ، كانت بيوت الأزياء الشهيرة « بيوت «مادلين ديروش» و « لوسسيان ليلونج » و « جاك فات » قد أعلنت عن « المودة العسكرية » التى كان قوامها الاكتاف العريضة والاحزمة العريضة أيضا و « الجونلات » القصيرة التى جعلت قصيرة توفيراً للأقمشة ، وكانت بعض الأقمشة فى ذلك الوقت مصنوعة من خيوط خشبية ، وكان من النكت الشائعة فى باريس انه عندما ينزل المطر ، فان ملابس السيدات تطلق الاغضان □

وفى الليل كانت الباريسيات يرتدين أحذية غليظة ذات نعال من الخشب كانت تطرق بصوت عال فوق الارصفة فى اثناء سيرهن ، وكن قد تعلمن أن يخلعنها وأن يعدن الى بيوتهن حافيات اذا تأخرن عن موعد حظر التجول . فبذلك ما كانت دوريات الألمان التى تطوف بالمدينة لتسمع غير وقع أحذية أعضائها فى الطرقات .

فى ذلك الصيف ، كانت باريس قد لزمّت مكانها ، فبسبب الحرب لم يتمكن أحد من القيام برحلة الصيف التقليدية الى الأرياف وكانت المدارس مفتوحة . وكان آلاف من الناس يأخذون حمامات

شمس على ضفاف نهر السين ، وفي ذلك الصيف أصبح ذلك النهرو
المتلىء بالطين أكبر حمام منباجة في الدنيا .

بالنسبة للمتعاونين مع الألمان ولاصدقائهم الألمان ، ولاغنياء الحرب
الذين جمعوا ثرواتهم من السوق السوداء ، كان لا يزال يوجد
شعبانيا وكافيار في مطعم مكسيم وفي ملهى الديدو وفي عدد من
الكباريات مثل « شهرزاد » و « سوزي سوليدور » . وفي ذلك
الاسبوع فاز فرنسي حالفه الحظ كانت معه تذكرة تحمل رقم
١٧٤١٨٤ بالجائزة الأولى في اليانصيب الوطني فحصل على ستة
ملايين من الفرنكات - أي حوالي ٣٤٣٠٠ دولار .

وفي أيام السبت والأحد والاثنين كان موسم السباق يستمر
في « لونشان » و « أوتاي » . كانت الجياد نحيلة ولكن المقاعد
كانت تمتلىء بالناس . وعن مدينة الملاهي « لونابارك » كان يصدر
اعلان مشجع يقول : « لا تحزن على ضياع امسطياك . بتسمع
وتسعين دوسة على بدالات دراجتك ، يمكنك أن تجد الشمس
الساطعة والهواء المنعش هنا » .

وكان ايف مونتانوآديث يياف يغنيان معافى ملهى « مولانروج »
وعندما استعرض سيرج ليفار موسم الباليه المنصرم ، امتدح اثنين
من الراقصين الناشئين هما زيزي جانمير ورولان بتي .

أما دور السينما فكانت تشغل آلات العرض فيها بواسطة
محركات يزودها بالطاقة دوران أقراص الدراجات . كانت « جومون
بالاس » أكبر دور السينما في باريس قد توصلت إلى أن قيام أربعة
رجال بإدارة أقراص الدراجات بواسطة البدالات بسرعة ١٣ ميلا في
الساعة لمدة سنت ساعات ، يمكنه أن يخزن كمية من الكهرباء تكفي
لعرضين كاملين ، وفي خارجها ، كانت تلك الدار تعلن أنه ملحق
بها مكان لوقوف الدراجات يتسع لثلاثمائة دراجة . استعماله
مباح مجاناً لحامل تذاكر دخول السينما !

وكانت المنارح تفتح ابوابها في الثالثة بعد الظهر وتغلقها عند الغروب ، وكانت تمتلئ دائما بالرواد . وكانت اكشاك المدينة المستديرة الخضراء تحمل اعلانات عن اكثر من عشرين مسرحية مختلفة . وكان مسرح « فييه كولومبييه » يقدم مسرحية جان بول سارتر « جلسة سرية » وعلى بعد بضعة مبان فقط من المسرح كان المؤلف يختبئ في غرفة فوق احد الأسطحة ويكتب منشورات لحركة المقاومة السرية .

ولكن قل كل شيء آخر ، كان هناك عامل في ذلك الصيف الذي لا ينسى من عام ١٩٤٤ ، يستبقى الناس في بيوتهم كل مساء خلال فترة نصف الساعة القصيرة التي كان التيار الكهربائي يجري خلالها في باريس . عندئذ كانت المدينة بأسرها تصمت وتلصق أذانها بأجهزة الراديو لتسمع عبر اصوات التشويش الألمانية صوت الاذاعة البريطانية المنوع .

في ذلك المساء ، مساء الثالث من أغسطس سنة ١٩٤٤ ، وفي ظل الجمال الذي لا يبارى لساعة الغروب في باريس ، سمع أهل المدينة لأول مرة بأمر ، سرعان ما أصبح بالنسبة لهم بمثابة الكابوس المخيف . وارسو في ذلك المساء كانت طعمة للنيران . فبينما كان محرووها الروس قد توقفوا على بعد مسيرة قصيرة من ابوابها ، كانت الحامية الألمانية فيها قد شرعت في قمع الثورة المسلحة المتعجلة التي أشعلتها فيها حركة المقاومة ، بأقصى القسوة والعنف . وعندما أتم الألمان هملهم ، كان مائتا ألف بولوني قد قتلوا وكانت وارسو قد أصبحت كوما حزينا من الأتقاض السوداء التي حرقها النيران .

كل باريسى كان ينظر من نافذته ذلك المساء ، كان يستطيع أن يتأمل أجدي معجزات الحرب : باريس كانت سليمة تماما ، نوتردام سان شاييل ، اللوفر ، الساكري كير ، قوس النصر . . جميع التحف والآثار التي لا مثيل لها التي جعلت تلك المدينة منسارا

للإنسان المتحضر ، أفلتت حتى الآن من أن تصاب بأي خدش خلال
خمس سنوات من أعنف حرب مدمرة عرفها التاريخ . والآن ، أخيرا
بدأت ساعه تحرير باريس تقترب . ولكن المصير الذى كان قد بدأ
يحيل وارسو الى انقاض فى ذلك المساء . . المصير الذى نجت منه
باريس على ذلك النحو المذهل حتى ذلك الوقت . . ذلك المصير
سوف يعلق عما قريب فوق رأسها هي . . هي . . اجمل مدن
الأرض .

فباريس كانت هي المحور الذى تدور حوله فرنسا كلها . فيها
كانت تصب جميع طرف فرنسا الرئيسية وسككها الحديدية وقنواتها
وكانت هي القلب الذى تحكم منه فرنسا بأسرها .

سكانها الذين كان يبع عددهم ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة
وملايين عديدة أخرى حول العالم ، ربما لا يشغل بالهم الا سلامة
الكنوز المحفوظة فيها للبشرية المتحضرة بأجمعها . ولكن لغيرهم
من الرجال الذين كانت تبعدهم عنها فى تلك الليلة آلاف الأميال
كانت باريس قد أصبحت شيئا آخر . كانت باريس قد أصبحت
بالنسبة لهم هدفا عسكريا .



بالنسبة للأمريكي الذي سوف يحررها ، كانت باريس معضلة
محيرة .

وأخيرا اتخذ الجنرال دوايت آيزنهاور في مقر قيادته المخبأ
في غابة تفرها الأمطار على بعد ميلين من ساحل « جاتفيل » في
مقاطعة نورماندي . والذي كان عبارة عن قافلة من المركبات .
اتخذ قرارا لم يكن هو نفسه متحمسا له . وربما كان ذلك القرار
هو اخطر قرار اتخذ منذ غزو جيوشه للساحل الاوربي .

قرر تأجيل تحرير باريس لأطول مدة ممكنة ، واختار ان يطوق
المدينة ويتخطاها ، وقدر القائد الأعلى لجيوش الحلفاء في أوروبا
ان باريس لن تحرر قبل حوالى الشهرين . قبل منتصف سبتمبر
على احسن الفروض .

ولم يكن آيزنهاور قد اتخذ هذا القرار بلا ترو ، فقد كان يعلم
مثل غيره التأثير العاطفى الهائل الذى سوف يكون لتحرير باريس
فى نفوس الفرنسيين وفى جيوشه بل فى العالم كله . كما كان
يتذكر لهفة أهاليها وكذلك لهفة الجنرال شارل ديغول زعيم فرنسا
الحررة العنيد .

ولكن المنطق العسكري الدقيق الذى كانت تتضمنه مذكرة من ٢٤ صفحة على مكتبه ، تغلب لدى آيزنهاور على جميع الاعتبارات الأخرى ، وكانت له قوة أكبر من قوة السحر الذى تحتوى عليه كلمة « باريس » .

كانت تلك المذكرة التى كتب على غلافها « سرى للغاية » قد أعدها مجلس تخطيط قيادة الحلفاء فى أوروبا المؤلف من ثلاثة أشخاص ، وهو المجلس الذى كان يزود القائد الأعلى بالتوصيات التى كان يبنى عليها قراراته الاستراتيجية الهامة .

كان آيزنهاور مقتنعا بأن الألمان سوف يدافعون بضراوة عن باريس ، فجميع الاعتبارات الاستراتيجية والجغرافية تحتم ذلك ، وقد أكدت الدراسة الدقيقة التى أجراها مجلس التخطيط اقتناعه ، وكان يريد أن يتحاشى دخول معركة فى باريس .

وقد حذرت المذكرة من انه فى حالة دفاع الألمان دفاعا قويا عن باريس ، فان اخراجهم منها سوف يتطلب « قتال شوارع عنيفا وطويلا مشابها لذلك الذى دار فى ستالينجراد » وهو قتال « من المحتمل ان يؤدى الى دمار العاصمة الفرنسية » .

ولم يكن فى وسع آيزنهاور أن يسمح بأن يحدث هذا لباريس . وعلاوة على ذلك ، فهو لم يكن يريد لمدرعاته التى أصبحت الآن تتوغل فى حرية عبر فرنسا ، ان تغوص وتتجمد فى معركة داخل مدينة باهظة التكاليف .

ولكن فوق هذا كله كان هناك سبب أهم من هذه الأسباب جميعا أمله على آيزنهاور قراره . . وكان هذا السبب ملخصا فى إحدى فقرات المذكرة التى على مكتبه .

وكانت تلك الفقرة تقول :

((اذا اخذنا باريس فى موعد مبكر ، فانها سوف تصبح قيدا ثقيلًا على قدرتنا على تحريك القوات)) .

وأضافت المذكرة قولها :

« ان الاستيلاء على باريس سوف ينطوى على مسئوليات مدنية توازى استخدام ثمانى فرق عسكرية فى العمليات » .

اى ان استخلاص باريس من الالمان كان يعنى المخاطرة بفقد الوقود اللازم لدبابات ما يقرب من ربع الفرق العسكرية السبع والثلاثين التى كان ايزنهاور قد انزلها فى فرنسا حتى ذلك الوقت . وكانت تلك محاطرة لم يكن ايزنهاور مستعدا للاقدام عليها .

فقد كان الجازولين فى ذلك الصيف اثنس ما فى الوجود بالنسبة له . وقد قال فيما بعد : « لقد كنت اترجع فى كل مرة كان يعين على فيها ان اتنازل عن حالون واحد منذ » . . وكانت باريس لا بد ان تكلفه آلافا مؤلفة من الجالونات .

ولم يكن الاستيلاء على باريس هو الذى سوف يستنفد كثيرا من موارد جيوش ايزنهاور ، ولكن امدادها بحاجيات معيشتها بعد تحريرها كان هو الذى سوف يسكل العبء الثقيل .

فقد ذكرت مذكرة مجلس تخطيط قيادة الحلفاء فى اوربا ان « احتياجات باريس من المواد التموينية والطبية وحدها ، سوف تبلغ ٧٥ ألف طن فى الشهرين الاولين ، كما ان حوالى ١٥٠٠ طن اضافية من الفحم سوف تكون لازمة يوميا لمواجهة حاجة المرافق العامة » .

وبما انه لم يكن تحت تصرف ايزنهاور فى ذلك الوقت غير مئة شيربورج والشواطىء التى انزل فيها جنوده ، وبما ان مسكك حديد فرنسا كانت حطاما ، فان كل طن من المواد التى سوف تحتاجها باريس سوف يتحتم نقله اليها من نورماندى بواسطة سيارات النقل . . والمسافة بينهما ذهابا وايابا هى ٤١٦ ميلا .

ولذلك نصحت مذكرة مجلس التخطيط بتجنب تلك المسؤولية
- مسؤولية تحرير باريس - لأطول مدة ممكنة .

واقترحت المذكرة خطة أخرى تقضى بالقيام بحركة كماسة
شمالى المدينة وجنوبها ، من شأنها ان تتيح للحلفاء إبعاد قواعد
إطلاق الصواريخ من طراز ف ١ و ف ٢ . . وهى مهمة وصعبة
المذكرة بأنها هامة وعاجلة الى حد « يبرر المغامرة بالاقدام على ما
هو أكثر من المخاطر العادية » .

ونصت تلك الخطة على ان تصرب مجموعة الجيوش الاحدى
والعشرون الى بقودها السير برنارد مونتجمرى فوق منطقته نهر
السين العليا بين « الواز » والبحر ، فتفتح ميناء « الهافر » وتهدد
قواعد إطلاق الصواريخ فى منطقة « بادى كاليه » . ثم عند
« أميان » التى تقع على بعد ٨٢ ميلا شمالى باريس ، ينسلخ عنها
فيلقان ليندفعا شرقا فى حركة دائرية . وفى الوقت نفسه تقطع
مجموعة الجيوش الأمريكية الاثنتا عشرة نهر السين جنوبى باريس
عند « ميلان » وتندفع فى الاتجاه الشمالى الشرقى الى « ريمس »
التي تقع على بعد ٩٨ ميلا وراء باريس . . ثم تستدير غربا للالتقاء
بالقوات البريطانية المنطلقة من « أميان » .

وعند التقاء القوتين تكون باريس قد حوصرت داخل طوق لا
فكاك لها منه . .

وكان التاريخ التقريبى الذى اقترح لهذه العملية هو الفترة
الواقعة ما بين نصف سبتمبر وأول أكتوبر .

وقد تضمنت هذه الخطة ثلاث مزايا كبرى فى نظر ايزنهاور
هى . . أولا : انها تتفادى وقوع معركة شوارع مدمرة فى باريس ؟
وثانيا : انها تدفع قواته فى مناطق تستطيع الدبابات استخدامها
على احسن وجه . . وثالثا - وهو الأهم - انها توفر الجازولين

الشمين لهدفه الأكبر ، وهو فتح ثغرة فى خط سيجفريد واقامة
راس جسر فوق نهر الراين قبل حلول الشتاء .

ولم يكن هناك غير امر واحد فقط يمكن أن يعرقل تنفيذ هذه
الخطه ، هو : وقوع حادث غير متوقع مثل اشتعال ثورة مسلحة فى
باريس . غير أن ايزنهاور كان فى امكانه أن يطمئن من هذا الناحية
فقد أصدر الى الجنرال بيير جوزيف كونيغ رئيس حركة المقاومة
الفرنسية - او « القوات الفرنسية فى الداخل » كما كانت تسميها
وسميا حكومة فرنسا الحرة فى المنفى - تعليمات صارمة تنص
على أنه يجب ألا تنشب فى باريس أو غيرها أية ثورات مسلحة الى
ان يصدر هو - أى ايزنهاور - أمره بذلك . وابلغه ايضا بأنه من
أهم الأمور « الا يحدث شئ فى باريس يقتضى تغيير خططنا »

وسوف يفرض هذا الأمر قيда ثقيلًا على الباريسيين يصعب
عليهم احتماله . . ولكن ايزنهاور قال لرئيس أركان حربهِ اللامع
الجنرال والتر بيدل سميث :

- اذا استطاع الباريسيون ان يعيشوا مع الألمان فترة قصيرة
أخرى فان تضحياتهم قد تساعدنا على تقصير أمد الحرب .

وللتأكد من أنهم سوف يفعلون ذلك ، كانت المخابرات البريطانية
قد اوفدت « آلان بيربيزا » ليهبط بمظلته فى فرنسا فى ليلة غاب
هنا القمر =



بالنسبة لرجل فرنسي تستبد به الكتابة وتغلفه الوحدة :
منتظرا في صبر ناقد في حر صيف الجزائر المشبع بالرطوبة ، كانت
باريس هي المحور الذي سوف يدور حوله قريبا مصير بلاده ..
وكذلك مصيره هو شخصا . فأكثر من أى واحد آخر من الرجال
الذين حوله ، كان شارل ديغول يعرف ان باريس هي المكان الذي
سيحدد فيه ما اذا كان النجاح أو الفشل سيكون هو نصيب
المغامرة الجريئة التي غامر بها والتي تمثلت في النداء الذي وجهه
الى مواطنيه المهزومين من لندن في الثامن عشر من يونيو سنة
١٩٤٠ .

كان ديغول مقتنعا بأن ما سوف يقع في باريس في الأسابيع
القليلة المقبلة ، سيقدر لمن سوف تكون السيطرة على فرنسا بعد
الحرب . وكان ديغول مصمما تصميميا لا يتزعزع على وجوب ان
تكون هذه السيطرة له .

وكان ديغول يعتقد ان هناك جهتين تتآمران على حرمانه من
هذه السيطرة ، هما : أعداؤه السياسيون ، أعضاء الحزب الشيوعي
الفرنسي .. وحلفاؤه العسكريون ، الأمريكيون .

فالعلاقات بين الولايات المتحدة وديجول كانت قد تدهورت بانتظام بعد شهر عسل قصير لم يدم طويلا في سنة ١٩٤٠ . وكانت مجموعة من العوامل والأحداث قد ساعدت على تفضية عدم الثقة والشكوك التي كانت تسم العلاقات الفرنسية - الأمريكية في سنة ١٩٤٤ .

ومن هذه العوامل والأحداث ، اعتراف الولايات المتحدة بحكومة فيشي - الحكومة التي أقامها المارشال بيتان في فرنسا بعد احتلال الألمان لها - والاتفاق السري الذي عقده الولايات المتحدة مع دارلان ، وأحجامها عن إبلاغ ديغول بعزمها على انزال قواتها في شمال إفريقيا إلى أن بدا فعلا نزول القوات ، وعدم الاستلطاف الشخصي المتبادل بين ديغول والرئيس الأمريكي فرانكلين روزفلت .

فقد كانت الولايات المتحدة قد عقدت اتفاقا سريا مع الأميرال الفرنسي جان لوى دارلان حاكم الجزائر التابع لحكومة فيشي ، تعهد الأميرال الفرنسي بموجبه بعدم مقاومة غزو الحلفاء للجزائر . . . وعندما توقف الجنرال ديغول في صباح الثامن من نوفمبر سنة ١٩٤٢ ليبلغ بأن القوات الأمريكية بدأت تنزل إلى شواطئ الجزائر ، استشاط غضبا وقال : « أرجو أن تقذف بهم فيشي في البحر » !

ولكن ما كان يفيظ ديغول من الولايات المتحدة أكثر من هذه الأمور جميعا ، كان رفض روزفلت الاعتراف بلجنة التحرير الوطني الفرنسية التي شكلها ديغول كحكومة مؤقتة لفرنسا . وكان ديغول يرى أن اتخاذ أمريكا لهذا الموقف يعنى رفضها الاعتراف بزعامته لفرنسا .

وكان روزفلت قد حدد موقف أمريكا من هذا الموضوع في مذكرة بعث بها إلى الجنرال جورج مارشال في الرابع عشر من يونيو سنة ١٩٤٤ فقد قال له فيها :

« ينبغي علينا أن ننتفع إلى أقصى مدى بأي نفوذ قد يكون لديجول أو تنظيم تابع له يمكنه أن يفيدنا في مجهودنا العسكري ، بشرط ألا يؤدي ذلك لأن تفرضه بقوة السلاح على الشعب الفرنسي كحاكم لفرنسا » .

كما ابلغ روزفلت أيزنهاور بأن القيادة العليا للحلفاء في أوروبا يمكنها أن تتعامل مع بجة التحرير الوطني الفرنسية ، ولكن على أساس ألا تفعل شيئا يمكن أن يشكل اعترافا بهذه اللجنة كحكومة مؤقتة لفرنسا .

أما علاقات ديغول بأيزنهاور فقد كانت أفضل ، وإن كان القائد الأعلى لقوات الحلفاء في أوروبا قد شكك من أن ديغول « لا يكف عن محاولة حملنا على تغيير هذا الأمر أو ذاك ، لكي يتمشى مع أغراضه السياسية » .

وكتب رئيس أركان حرب أيزنهاور الجنرال والتر بيدل سميث ردا على مذكرة تلقتها القيادة العليا للحلفاء في أوروبا ، الكلمات اللاذعة التالية :

« كان يسعدني أن أطلع الجنرال ديغول على شئوننا ، لو استطاع أحد أن يحدد لي وضعه بالنسبة لهذه القيادة . ولكن في حدود علمي فانه لا وضع له بالمرّة » .

وكانت هناك مضايقات أخرى أيضا . . فاتصالات ديغول اللاسلكية مع رجاله في لندن ، كان يتحتم أن تتم من خلال الانجليز والأمريكيين . وكان يعلم أن تشرشل رئيس وزراء بريطانيا قد أصدر تعليماته إلى انتوني ايدن وزير خارجيته بأن تراقب هذه

الاتصالات من الناحية السياسية . كما ان القرار الذي اتخذته الحلفاء باصدار عملة جديدة يوم نزول جيوشهم في فرنسا قد آثر الزعيم الفرنسي الى حد انه سحب الاغلبية العظمى من صباط الاتصال الفرنسيين الخمسمائة الذين كانوا قد قدر ا على مساعدة القيادة العليا للحلفاء في اوروبا على ادارة المناطق المحررة على نشاطهم نورماندى .

كان اكثر ما كان ديجول مصمما عليه هو ان يكون لنا اية وجود بالمرّة للجهاز الذي انشأ الحلفاء لحكم المناطق المحتلة على ارض فرنسا . وكانت مخاوفه في هذا الصدد قد هدأت الى حد ما في شهر يوليو عندما قام بزيارته الرسمية الاولى لواشنطن ، فقد توصل الى اتفاق مع روزفلت حول ادارة فرنسا بعد تحريرها ، ولكنه كان اتعاقا هزيلا وغير مستقر .

كان ذلك الاتفاق ينص على تقسيم فرنسا الى جزئين : جزء داخلي تسلم ادارته الى لجنة التحرير الوطني الفرنسية التابعة لديجول ، وجزء يدخل في منطقة العمليات العسكرية وتكون الكلمة العليا فيه لقيادة الحلفاء في اوروبا . وكانت مسئولية تعيين حدود كل من الجزئين متروكة في الدرجة الاولى لايزنهاور .

وقد فشل هذا الاتفاق في تذليل الخلاف الاساسي بين ديجول والقيادة العليا للحلفاء في اوروبا . فديجول كان يرى انه بوصفه رئيس حكومة فرنسا الحرة ، يمثل السيادة الفرنسية ، وعلى ذلك فينبغي ان تكون سلطته هي العليا في فرنسا وليس سلطة قيادة الحلفاء . بينما كانت فرنسا بالنسبة لقيادة الحلفاء مسرحا للعمليات العسكرية ، وكانت تلك القيادة ترى ان مطالب ديجول السياسية يجب ان تخضع لمطالبها هي الاستراتيجية .

ولم يتضمن الاتفاق اى نص خاص بباريس ، فقد افترصت واشنطن ان تلك المدينة سوف تبقى في منطقة العمليات العسكرية

لبعض الوقت بعد تحريرها ، كما انه لم يكن لدى روزفلت أية نية فى أن يقيم فيها حكومة لم يكن هو نفسه قد اعترف بها بعد .

وكان هذا الافتراض معقولا وواقعا ، ولكنه كان يففل حقيقة واحدة أساسية هى : تصميم شارل ديغول القاطع على أن يستقر هو وحكومته فى باريس بأسرع ما يمكن . فقد كان ديغول يشعر بأن مصيره ومصير فرنسا يتوقفان على نجاحه فى ذلك .

وفى تلك الأيام الحرجة فى بداية أغسطس ، كان ديغول قد اقتنع بأن روزفلت ينوى سد الطريق الى حكم فرنسا فى وجهه عن طريق ابقائه فى الجزائر ، بينما تدبر وزارة الخارجية الأمريكية المؤامرات ضده فى فرنسا .

وكان ديغول واثقا من أن جهود أمريكا فى هذا المجال لا يمكن أن تحقق نجاحا ، ولكنه كان يخشى أن تتسبب فى تأخير فترة يتمكن خلالها عدوه الحقيقي - الحزب الشيوعى الفرنسى - من أن يثبت أقدامه فى مراكز السلطة والقوة فى باريس . . وهذا امر ما كان فى وسعه أن يسمح به .

فقد كان ديغول مقتنعا بأنه يتنافس فى سباق مع الحزب الشيوعى الفرنسى ، نهايته هى باريس ، أما جائزة الفائز فيه فهى فرنسا كلها .

وكان منذ سنة ١٩٤٣ قد اصدر أوامره الى رجاله المختصين بتزويد حركة المقاومة السرية داخل فرنسا بالأسلحة ، بعدم اسقاط الاسلحة بالمظلات للشيوعيين مباشرة ولا بطريقة تجعلها عرضة لأن تقع فى أيديهم .

ومنذ نزول قوات الحلفاء على شاطئ فرنسا ، كان قد بدأ فى تنفيذ خطة من شأنها منع الشيوعيين من الاستيلاء على السلطة فى فرنسا . فكلما تم تحرير أية قطعة من الأراضى الفرنسية ،

كانت جميع السلطات المدنية فيها توضع فى يد مندوب سمام معين من قبله مسئول أمام حكومته وحدها . وكانت أكثر التعليمات التى أصدرها الى هؤلاء المندوبين صرامة ، هى تلك الخاصة بطريقة معاملتهم للجان المقاومة المحلية التى كان ديغول يشعر ان الشيوعيين يسيطرون عليها . فقد كانت تلك التعليمات تقضى بعدم منح تلك اللجان أى نوع من السلطة المباشرة فى المناطق المحررة ، وبعدم السماح لها بأى حال من الاحوال ان تتحول الى « لجان سلامة عامة » على غرار تلك التى تشكلت ايام الثورة الفرنسية .

وقد تلقى ديغول خلال اندفاع قوات الحلفاء فى مقاطعة بريتانى سلسلة من التقارير المقلقة . ففى كل مكان ، ظهر أن الشيوعيين أقوى وأحسن تنظيماً وأكثر جراءة فى مطالبتهم بالسلطة مما كان يتوقع .

ولكن التجربة الفاصلة سوف تكون فى باريس . وفى الرابع عشر من يونيو أصدر ديغول أمراً بوقف اسقاط الأسلحة فى منطقة باريس بأسرها ، وكان تقديره هو أنه قد أصبح لدى الشيوعيين عندئذ ٢٥ ألف رجل مسلح فى المدينة .

وكان ديغول واثقاً من أن الحزب الشيوعى يستعد لاشعال ثورة دموية فى باريس بقصد الاستيلاء على مفاتيح السلطة التى تحكم بوساطتها فرنسا ، قبل ان يتمكن هو من الوصول اليها . ثم يرسخ الشيوعيون اقدامهم بعد ذلك فى الأجهزة التى تحكم فرنسا ويواجهونه بـ « كومون » يتولون هم توجيهه عندما يصل هو وحكومته الى باريس .

وبفضل المركز الذى يكونون قد ثبتوا أنفسهم فيه فانهم يستطيعون أن يعزلوه هو ووزرائه فى ركن فخري بعيد عن كل سلطة حقيقية بينما يكملون هم مهمة تشديد قبضتهم على فرنسا .

وكان ممثله السياسي في باريس - الموظف الهاديء الكسندرو
بارودى - يعتقد أنه لم يعد لديجول أن يتوقع ما هو أقل من تحدا
شيوعى مسلح لسلطته في العاصمة .

وكان رد ديغول على هذا كله بسيطا .

انه سوف يسيطر على باريس قبل أن يتمكن الشيوعيون من
أن يسبقوه الى ذلك .

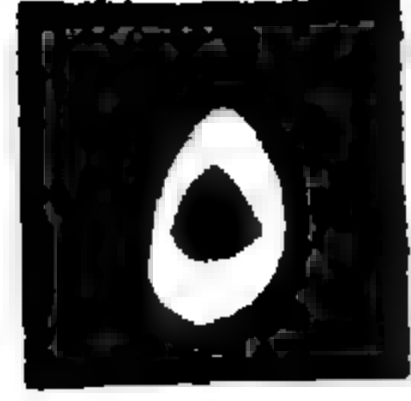
فلو أتيح لهم أن يشبثوا أقدامهم في مراكز السلطة قبل أن
تفعل حكومته ذلك ، فلن تكون هناك وسيلة لزعزعتهم عنها الا
الدخول في معركة دموية معها ، وهو أمر لا تريده فرنسا ولا
تحتمله . ولذلك صمم ديغول على أن يسبق الشيوعيين مهما كان
الثمن وبأية وسيلة .

وفي نفس الوقت تقريبا الذى نوصل فيه ايزنهاور في مقر
قيادته في جرانفيل الى قراره بتأجيل تحرير باريس ، كان ديغول
في الجزائر يكتب مذكرة سرية الى الجنرال بيركونيج رئيس
حركة المقاومة الفرنسية .

وقال ديغول في تلك المذكرة ان باريس يجب أن تتحرر بأسرع
ما يمكن ، سواء أعجب ذلك الحلفاء أو لا ، ففي نيته أن يذهب
اليها بنفسه بمجرد أن تتخلص من الاحتلال الألمانى ليفرض فيها
سلطته الشخصية وسلطة حكومته .

وكان قد قام ببعض الاستعدادات الا اليه .

فبالنسبة لديجول - تماما كما هو الحال بالنسبة لايزنهاور
- فان اشتعال الثورة المسلحة في باريس سوف يكون كارثة ،
ومثلما فعل ايزنهاور ، فقد أصدر هو أيضا أوامر مشددة بمنع
حدوث ذلك .



من نافذة شقة تقع في الدور الخامس من إحدى عمارات ضاحية « أوتاي » في باريس ، وقف الرجل الذي بعث إليه ديجول بأوامره تلك يحدق في ظلام الليل ، ويحاول أن يتبين ملامح مدينة باريس المطفأة الأنوار .

اسم ذلك الرجل هو جاك شابان - دلماس . وكان عندئذ في التاسع والعشرين من عمره وكان يحمل رتبة « جنرال » . في ذلك اليوم من أيام اغسطس ، كان قد تلقى رسالة شفوية تتم بها إليه رجل كان يصلح أطار دراجته عند إحدى نواحي الشوارع عندما مر به . وكانت هي الرسالة التي كان « جاداميكول » قد حل رموز شفرتها في دير الراهبات الصغير قبل ذلك بساعات . ولم تبد محتويات تلك الرسالة التي حملها « آلان بيربيزا » في كعب حزائه مفاجئة لأحد في باريس ، بالقدر الذي بدت به لهذا الشاب المتجهم الملامح .

كان شابان - دلماس يعرف أن المهمة التي عهد إليه ديجول بأدائها في باريس هي في نظره أهم المهام التي كلفه بها . وكانت التعليمات السرية الخاصة بباريس التي تلقاها من مقر القيادة العسكرية لديجول في لندن في غاية الدقة والوضوح .

ان عليه ان يحتفظ بالسيطرة الكاملة على حركة المقاومة السرية في المدينة . وينبغي عليه الا يسمح تحت اى ظرف من الظروف بقيام ثورة مسلحة في العاصمة قبل ان يأذن له ديجول بذلك . ولكن هذه الاوامر مستحيلة التنفيذ .

فلم يكن شابان - دلماس هو الذى يسيطر على حركة المقاومة فى باريس ، ولكن الحزب الشيوعى كان هو الذى يسيطر عليها .

كان قائد الجيش السرى فى فرنسا باجمعها جنرالا شيوعيا يدعى الفريد مالاربه - جرانفيل . وكان قائد هذا الجيش فى منطقة باريس شيوعيا آخر ممثلى الجسم من مقاطعة بريتانى . وكان نائبه الاول شيوعيا ثالثا اسمه بيير فايان ، وهو الرجل الذى كان قد اطلق النار فى عام ١٩٤٢ فى محطة مترو « باريس » على اول جندى المانى يقتل فى العاصمة الفرنسية .

وكان الحزب الشيوعى يسيطر على النقابات وعلى الصحافة السرية .

وكان يسيطر كذلك على اثنتين من لجان المقاومة السياسية الثلاث فى باريس ، وقد اُحال الثالثة الى جمعية خطابة عديمة الفاعلية ، بحكم وجود اقلية قوية له بين اعضائها .

وكانت هذه اللجنة الثالثة التى تحمل اسم اللجنة القومية للمقاومة قد اُلغيت ديجول سنة ١٩٤٣ ، وكانت - نظريا - الهيئة السياسية الرئيسية للمقاومة .

ولكن ديجول كان قد كف عن الاعتماد عليها منذ مدة بعد ان لمس قوة النفوذ الشيوعى الذى تسرب اليها ، واصبح يسخر منها .

وكانت مصابة من الشيوعيين قد قامت مؤخرا بعملية سطو جريئة استولت فيها على مبلغ ضخم من المال كان قد اُرسل بطائرة خاصة الى شابان - دلماس من رئاسة حركة المقاومة الفرنسية فى لندن .

ومنذ أشهر عديدة والشيوعيون يعملون على دعم مراكزهم وعلى وضع رجالهم في المواقع الرئيسية في كل جزء من المدينة . وحتى أعمال الاسعاف لم تنج من محاولاتهم للسيطرة عليها . . . فقد شكوا أحد كبار الأطباء التابعين لحركة المقاومة من أن الحزب الشيوعي قد فرض عليه نائباً لمراقبته .

ويوما بعد يوم كان شابان - دماس يلاحظ تضخم عدد المنضمين لفرق الميليشيا التابعة للحزب الشيوعي .

ولكن في الوقت نفسه لم تكن هناك في حركة المقاومة السرية جماعة ناضلت نضال الشيوعيين ، أو دفعت مثلما دفعوا من ضريبة الدم .

فعلى الرغم من أنهم تأخروا في الانضمام الى حركة المقاومة السرية ، اذ لم يشتركوا في المعركة ضد الألمان إلا بعد أن بدأ غزو النازيين للاتحاد السوفيتي عام ١٩٤١ . . . إلا أنهم قدموا لها أفضل جنودها انضباطا واحسنهم تنظيما وأكثرهم شجاعة في كثير من الأحيان أيضا .

وقد زاد عدد المنضمين الى الحزب الشيوعي زيادة هائلة أثناء الحرب ، ولم تكن له في أي وقت مضى الهيئة التي أصبحت له الآن وقد غدا الحزب الشيوعي أهم منظمة سياسية منفردة في فرنسا ، وغدت فرق الميليشيا التابعة له أهم منظمة مسلحة منفردة في حركة المقاومة .

وقيادة الحزب التي تمارست منذ زمن بعيد على العمل السري ، ظلت طوال مدة الحرب بأكملها سليمة بأجمعها . ولم يقع أي عضو فيها في قبضة الألمان . وكان الحزب على اتصال مستمر بموسكو من خلال شبكة من الرسل التابعين له ، كانوا يروحون ويجيئون بلا انقطاع بين فرنسا ومنويسرا ، وكذلك بواسطة محطات ارسال لاسلكيتين سريتين كانتا تعملان من جنوب غرب فرنسا .

وقد آن الأوان الآن لكى يطالب هذا العملاق السياسى المثير
بثمان ثلاث سنوات شاقة من العمل . وسوف يطلب هذا الثمن
فى باريس .

وبينما كان شابان - دلماس يحدد فى المدينة المطفأة الانوار
التى عهد بها اليه ، كان يعرف ما سوف يكون عليه هذا الثمن الذى
سوف يطلبه الحزب الشيوعى .

ان زعماء الحزب مصممون على أن يفرضوا فى شوارع باريس
الثورة المسلحة التى تلقى هو الأمر بمنع وقوعها .

وكان يؤمن بأن الشيوعيين لابد ان يبدأوا ثورتهم مهما كان
الثمن ، وحتى لو كانت نتيجتها هى تدمير أجمل مدينة فى العالم .
فباريس تعمل بالنسبة لهم فرصة لا يسعهم ان يتركوها تفلت من
أيديهم .

وقد حاول خلال الأسابيع الأخيرة ان يقنعهم بتفويت هذه
الفرصة ، ولكن جهوده كلها ذهبت ادراج الرياح .

ففريمه الأكبر ، وهو مهندس شيوعى متكشف يدعى روجيه
فييون ، كان يعتقد ان الديجوليين يريدون منع قيام الثورة لكى
يتيحوا لزعيمهم دخول باريس على رأس جيش فاتح فيجدها
راكعة عند قدميه اعترافا بفضله .

اما شابان - دلماس فقد كان يعتقد ان الشيوعيين يريدون
اشعال الثورة لكى يستولوا على السلطة فى باريس ، ثم يرحبوا
بديجول ليس بوصفه رئيس الفرنسيين الأحرار وانما بوصفه
ضيفا وجهوا اليه دعوة الحضور .

ومثل سائر من فى باريس ، كان شابان - دلماس قد سمع
ايضا اخبار ثورة وارسو من الاذاعة البريطانية ذلك المساء .

وكان قد أمضى أسابيع قبل ذلك ، كان أمله الوحيد خلالها في
إنقاذ باريس من مصير شبينه بذلك الذي حل بالعاصمة البولونية ،
هو أن يندفع الحلفاء نحو باريس مباشرة ويستولوا عليها بمجرد
أن يفرغوا من نورماندى .. قبل أن يتمكن الشيوعيون من تنظيم
ثورتهم .

ولكن الرسالة التى جاءت فى حذاء « الآن بيريزا » قد قضت
على ذلك الأمل .

وفى وحشة شقته المظلمة أدرك ذلك الجنرال الشاب الآن أن
لخطط الحلفاء سوف تقدم أكبر خدمة لخصومه الشيوعيين .

وايقن شابان - دلماس أن أحد مصيرين اثنين لا ثالث لهما بات
ينتظر باريس :

فاما ينتقم الجيش الألماني من الثورة بسحقها بلا رحمة وبسحق
باريس معها .

او يستولى قادة الثورة الشيوعيون بعد انتصارهم على قلاع
السلطة فى العاصمة ويثبتون أقدامهم فيها لينشروا منها بعد ذلك
سيطرتهم على فرنسا بأسرها .

ولم ير شابان - دلماس أمامه فى تلك الليلة إلا مخرجا واحدا
من هذا المأزق .

أن عليه أن يقنع الحلفاء بتغيير خططهم .. ويجب عليه أن يحذر
ديجول من الموقف فى باريس .

بطريقة ما ، يتحتم عليه أن يقوم بنفس الرحلة التى قام بها
« الآن بيريزا » لتوه ، ولكن فى الاتجاه المضاد . ينبغى عليه أن
يحاول الوصول الى لندن . وبكل ما فى الشباب وفى البأس

من طاقة واندفاع وهمة ، سوف يتوصل الى أيزنهاور ان يغير خطته ويرسل طوابيره المدرعة الى باريس مباشرة .

بالنسبة للتفكير الملتوى للألماني الذي كان يوجهه جيوش الراح الثالث من مخبأ مبنى بالصلب والأسمنت المسلح تحت سطح الأرض في راستنبورج ببروسيا الشرقية .. ربما كانت باريس تعنى ما هو أهم مما تعنيه للآخرين جميعا .

فلمدة أربع سنوات - من ١٩١٤ حتى ١٩١٨ - كان ستة ملايين من الألمان مثل الرقيب أدولف هتلر قد ألزموا خنادق الجبهة الغربية بفعل السحر الذي تنطوى عليه صرخة « الى باريس ! » وكان مليونان منهم قد قتلوا .

وفي عام ١٩٤٠ ، حقق هتلر في أربعة أسابيع مذهلة ما عجزوا عن تحقيقه في أربعة أعوام .

وفي يوم الاثنين ، الرابع والعشرين من يونيو ، في الساعة السابعة صباحا ، وبعد مرور أسبوعين على دخول قواته باريس ، حافظ هتلر على مواعده مع المدينة .

ولم ير الا عدد ضئيل من الباريسيين سيارته « المرسيدس » السوداء وهي تتوقف في ذلك الصباح عند مرتفع يشرف على المدينة ، ليتأمل غازي باريس لدقيقة طويلة ومرضية المشهد التاريخي العريض الممتد أمام عينيه :

نهر السين ، وبرج ايفل ، وحدائق « الشان دي مارس » وقبة قبر نابليون الذهبية في قصر « الأنفاليد » والى اليسار عند الأفق أبراج كاتدرائية « نوتردام » ذات الثمانمائة سنة من العمر .

وقد أصبحت باريس الآن هي آخر مغنم تبقى في يديه من
مغانم حرب استمرت خمسة أعوام .

وخلال الخمسة الأيام الماضية كان هتلر قد تابع على خرائط
مخبئه في راستنبورج تقدم جيوش الحلفاء المتدفقة من الفجوة
التي اخترقتها في خط دفاعه في نورماندى عند « افرانش » .
وكان هتلر يعلم أن معركة فرنسا قد بلغت أوجها ، ولو خسرها ،
فلن تكون هناك المعركة واحدة بعدها هي معركة ألمانيا .

ومثل شارل ديغول ، كان هتلر يعرف ان باريس هي المحور
الذى تدور عليه فرنسا كلها . وقد هاجم هتلر باريس مرتين في
حياته القصيرة ، ولكن سخرية التاريخ سوف تضعه في دور آخر
قريبا . في هذه المرة سوف يكون أدولف هتلر هو المدافع عن
باريس .

ومثلما كان واضعو خطط القيادة العليا للحلفاء في أوروبا
يعلمون ، فان كل الأسباب تدفعه الى ان يتشبث في استماتة
بالحصن الدفاعى الطبيعى الذى تشكله باريس مع نهر السين .
فاذا ضاع منه هذا الحصن ، ضاعت معه مواقع اطلاق صواريخه
.. ووجد جيوش الحلفاء على عتبة بلاده .

وسوف يعرف هتلر كيف يقاتل من اجل باريس مثلما عرف
كيف يقاتل من اجل ستالينجراد ومونت كاسينو وسانت لو .
وبعد أيام قليلة ومن هذا المخبأ فى بروسيا الشرقية ، سوف
يصدر أوامره بالدفاع عن باريس حتى آخر رجل . وبعد ذلك
سوف يصبح فى هيئة أركان حربه المتشككة وهو يهوى بقبضته
على مائدة اجتماعاته المصنوعة من خشب البلوط :

« ان من يمسك بباريس يمسك بفرنسا »



كانت امارات الارهاق الذى احداثته الحرب فى الجيش الالماني تبدو واضحة على وجوه الجنود النسيان الذين وقفوا فى محطة سيليزيا بيرلين ينظرون القطار الذى سوف يعود بهم الى الجبهة الشرقية بعد انتهاء اجازاتهم .

وكان الرجل البدين القصير الذى يحمل رتبة « جنرال لويتنانت » - ثم لواء - فى الجيش الالماني ، والذي لا يزال يسوق طريقه بينهم فى خطوات بطيئة ، ينظر فى اشفاق الى وجوههم الجامدة الواجمة . فكثيرا ما سبق له ان وقف مثلهم فى وحشة هذه المحطة المعتمدة الانوار ينظر نفس القطار الذى ينتظرونه ليعود به الى ميدان القتال فى الشرق .

ولكن الجنرال ديتريش فون شولتزن كان سيستقل بطارا آخر فى هذه الليلة . قطارا سوف يسافر به مع مجموعة من الزواف البارزين الآخرين الى مقر قيادة ادولف هتلر فى راستنبورج ببروسيا الشرقية .

وصعد فون شولتزن الى عربة النوم الزرقاء ، التى ذكرتة برحلات قديمة اكثر متعة ايام كان السلام يسود اوربا ، ووراءه

الجدى المكلف بخدمته يحمل حقائبه . وبمجرد ان دخل الحجرة المحجوزة له بدأ يفك أزرار سترته بينما أخذ خادمه يضع على رف الحوض أدوات حلاقته وأنبوبة من حبوب « ريفونال » المنومة ، حيث كان محتاجا لتلك الحبوب لينام مبكرا ، ففي الصباح التالي سوف يستقبله لأول مرة في حياته الرجل الذى حكم الرايخ الثالث .

وكان من النادر فى ذلك الصيف من عام ١٩٤٤ أن يستدعى هتلر ماريشالات جيشه لمقابلته . وكان الأندر من ذلك ان يعطى من وقته للجنرالات . ولكن فون شولتتز كان قد استدعى سبب خاص . فهذا اللواء البروسى الممتلىء الجسم الصارم الملامح كان قد اختاره هتلر بنفسه ليتولى الدفاع عن عاصمة فرنسا .

فقبل ذلك بثلاثة أيام ، وفى نفس مقر القيادة الذى كان قطار هتلر يتجه به اليه ، كان رجل قد اختار ملفات ثلاثة جنرالات من الدولاب الحديدى الذى يحتفظ بمفتاحه معه . وكان أحد هذه الملفات هو ملف فون شولتتز .

كان ملف فون شولتتز قد استرعى انتباه الجنرال فيلهيلم بورجدورف رئيس قسم شئون الضباط بمقر القيادة العليا للجيش الألمانى ، على الفور . فقد كان ذلك الملف يظهر قبل أى شئ آخر ان صاحبه رجل لم يتزعزع قط ولاؤه للرايخ الثالث ، وكان مثل هذا الرجل هو الذى يريده بورجدورف لباريس .

فروح الهزيمة وضعف الولاء كانا قد بدأ يتفشيان بين القواد الألمان ، وكان ذلك اظهر ما يكون فى باريس نفسها .

فكبير قواد الجيش الألمانى فى فرنسا ، الجنرال كارل هاينريش فون شتولبناجل ، كان من زعماء مؤامرة العشرين من يوليو التى استهدفت اغتيال هتلر . وهو الآن يرقد على « برش » فى سجن بلوتزنزى ببرلين وقد فقد بصره وأصبح نصف ميت نتيجة لمحاولة

الانتحار التي اقدم عليها . وعما قريب سوف يتم خنقه بناء على أوامر هتلر . اما قائد منطقة باريس الكبرى الحالي ، الجنرال هانز فون بويتنبرج - لنجسفلد ، فلم يكن يبدو افضل بكثير منه في نظر بورجدورف .

وكان بورجدورف يعرف ان القيادة العليا الالمانية سوف تحتاج في باريس في الأيام العصيبة المقبلة الى رجل ، لا يمكن ان يكون ولاؤه أو كفاءته موضع شك . . . رجل يعيد النظام الى المدينة بقبضة حديدية ، ويعرف كيف يسحق بلا تردد أية ثورة يقوم بها المدنيون فيها ، ويعرف كيف يهيئها للمعركة الدفاعية الرهيبة التي كان بورجدورف واثقا من ان هتلر سوف يطلبها . وبدا له فون شولتز من خلال ملفه ، الرجل المطلوب . فاخذ ملفه ووضعه امام الفوهرر .

وقال لهتلر وهو يرشحه لمنصب قائد منطقة باريس الكبرى :
« انه ضابط لم يناقش ابدا اي امر صدر اليه مهما بلغت شراسة ذلك الأمر » .

ووافق هتلر على الترشيح . . ولكن لشدة اهتمامه بأمر باريس ، طلب استدعاء فون شولتز من نورماندي حيث كان يعمل ، الى مقر القيادة العليا ، لكي يتولى بنفسه اعداده لتسلم قيادته الجديدة .

بالنسبة لهذا الضابط الذي لا ترتقى الشكوك الى ولائه ، والذي قرر هتلر تعيينه قائدا لمنطقة باريس كانت الحرب قد بدأت في الساعة الخامسة والنصف من صباح العاشر من مايو سنة ١٩٤٠ عندما قفز من أول طائرة حربية ألمانية هبطت في مطار روتردام على رأس الكتيبة الثالثة من لواء المشاة السادس عشر التي كان يقودها وهو برتبة «مقدم» ليتولى قيادة الهجوم الألماني الخاطف في الغرب . كان هو أول ضابط ألماني هجم على

هولندا . وكانت مهمته هي الاستيلاء على الكبارى الممتدة فوق نهر « نوى ماس » عند طرف المدينة الجنوبي .

بعد أربعة ايام واربع ليال من القتال البالغ العنف . كان الهولنديون لا يزالون مستمرين فى المقاومة .

وعند ظهر يوم ١٤ مايو امر فون شولتتز بايفاد رجلين كان احدهما قسيسا والاخر بقالا ، الى الخطوط الهولندية لاقتناع القائد الهولندى بالاستسلام ، وطلب منهم انذاره بأن مدينة روتردام سوف تضرب بالمدفعية بلا رحمة فى حالة رفضه . بعد ذلك بساعتين عاد الرسولان دون ان يكونا قد تمكنا من العثور على القائد الهولندى . . . فبدأ قصف المدينة . وعندما أحس فون شولتتز أن القصف قد استمر مدة كافية ، حاول ان يوقفه عن طريق اطلاق شعلة اشارة . ولكنه ذكر فيما بعد ان الاشارة طمسها الدخان المتصاعد من احدى مراكب نقل البضائع التى كانت واقفة قريبا ، فلم يتمكن رجال المدفعية من رؤيتها ، واستمر القصف . وقد دمر ذلك القصف قلب روتردام وذكر الهولنديون انه تسبب فى قتل ١٨٨ شخصا داخل المدينة وفى اصابة ونسف منازل ٧٨ الف شخص .

وقد سأل صديق لشولتتز فاتح روتردام فيما بعد ما اذا لم يكن قد تعذب ضميره لانه قاد هجوما على بلد لم تعلن المانيا الحرب عليها ؟

فرد عليه شولتتز فى دهشة : ولماذا يتعذب ضميرى ؟!

كان ديتريش فون شولتتز قد تربى على الاستعمال السؤال « لماذا ؟ » . . . فمنذ لحظة مولده فى قصر أسرته الواقع بين الغابات فى اقليم سيليزيا ، كان مصيره قد تحدد . فقد سبقته ثلاثة اجيال من العسكريين البروسيين الى الخروج من هذا القصر لدخول الجيش الالماني .

وكانت اعظم لحظات حياة فون شولتتز اثناء حصار سباستوبول
فهناك فاز بشارات رتبة الجنرالالية . عندما بدأ حصار ذلك الميناء
الواقع على البحر الاسود كان عدد افراد اللواء الذى كان يقوده
٤٨٠٠ رجل . اما فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٤٢ فلم يكن قد تبقى منهم
غير ٣٤٧ . ولكن فون شولتتز ، على الرغم من ان دمائه كانت
تسيل من جرح أصيب به فى ذراعه الأيمن ، كان قد تمكن من
الاستيلاء على سباستوبول .

ومن اجل ان يتوصل الى ذلك ، لم يكن قد تردد فى ان يجبر
اسراد من الروس على نقل الذخيرة لمدافعه التى كانت تقصف
المدينة المحاصرة وعلى شحن تلك المدافع بالقنابل . بل انه رأى
طرافة تدعو الى الضحك فى ان يكره الروس على حشو مدافعه
بالقنابل التى تطلق لنسف بيوتهم !

وبعد ذلك عندما نقل الى مركز عسكرى آخر ، كان من سوء
حظ الفرقة التى التحق بها ، ان تصبح مهمتها هى تغطية انسحاب
جيش يتراجع ، ولكنه - كعادته - نفذ فى امانة الأوامر التى صدرت
اليه . وكانت تلك الأوامر التى صدرت فى أيام سنة ١٩٤٣ الصعبة
تقضى ألا يبقى وراء الجيش الألمانى المنسحب غير الأرض المحروقة
والدمار .

وهكذا فان هذا الجنرال المغمور الذى ينتظر مبارحة قطار
الفوهرر لمحطة سيليزيا ، سوف يحمل معه الى باريس شهرة قائد
تخصص فى تحطيم المدن ، وهى شهرة اكتسبها عن جدارة .
وقد اعترف ذات يوم بعد ذلك لدبلوماسى سويدي فى باريس
بأن مصيره منذ سباستوبول أصبح تغطية انسحاب الجيوش
الألمانية وتدمير المدن التى شرکها وراءها .

على بعد تسعمائة ميل كان هناك رجل آخر ينتظر هو ايضا
قيام قطار . وربما كان ذلك الرجل - جاك شابان دلماس - هو

الراكب الوحيد فى ذلك القطار المتأهب للسير من محطة « ليون »
بباريس ، الذى كان يعرف فى ذلك المساء انه من المقرر محاولة
اخراج ذلك القطار عن القضبان مرّتين قبل وصوله الى مدينة
ليون .

وكان شابان دلماس يعلم ذلك لان مهاجمة القطار عند موقعين
فى طريقه ، كانت جزءا من خطة شارك هو نفسه فى اعدادها لبث
الفوضى فى مواصلات الألمان الحديدية . وقد حاول منذ الصباح
الباكر الغاء الهجوم ، لكنه لا يعرف اذا كانت أوامره فى هذا
الصدد قد وصلت الى الرجال القابعين فى مخابئهم فى انتظار
القطار . وكان كل ما يسهه ان يفعله هو ان يرجو ان تكون الأوامر
الجديدة قد وصلت قبل فوات الأوان .

فقد كان شابان دلماس على موعد فى الليلة التالية مع طائرة
فى حقل ترعى فيه الأبقار بقرب « ماسون » . ومثل كل طائرات
الحلفاء التى تهبط سرا فى فرنسا المحتلة ، كانت التعليمات الصادرة
الى تلك الطائرة هى ان تنتظر الركاب المقرر ان تقلهم مدة ثلاث
دقائق . اما بعد مرور هذه الدقائق الثلاث فعليها ان تقلع فوراً
عائدة الى انجلترا سواء حضر الركاب أو لم يحضروا . وكان
شابان دلماس يعتقد ان سلامة باريس ربما تتوقف على وصوله
الى مرعى البقر فى الوقت المناسب .



خلال الأعوام الثلاثة عشر التي حمل خلالها فون شولتزن السلاح من أجل الرايخ الثالث ، لم يكن قد قابل هتلر إلا مرة واحدة . وكانت تلك المرة منذ عام ماضي ، في صيف عام ١٩٤٣ ، في مقر قيادة الجنرال فلدمارشال - أي المشير - فون مانشتاين في الميدان ، على ضفاف نهر «دنيبر» خارج مدينة «دنيبروبتروفسك» . . . وكانت المناسبة هي حفلة غداء أقيمت هناك للفوهرر خلال إحدى زيارات الدكتاتور الألماني للجبهة الروسية .

وكان شولتزن قد جلس أمام هتلر على المائدة . وبينما كان هتلر يتحدث بلا انقطاع كعادته ، أتيح لشولتزن أن يراقب عن كثب حاكم الرايخ الثالث .

وقد لفت نظره في هتلر ثلاثة أشياء هي : الشعور بالثقة الزائد والمعدى الذي كان يتدفق من كيانه العصبى ، وحقيقة أنه لا يتسم أبداً ، وكون أسلوبه في الأكل وفي مراعاة آداب المائدة هو أسلوب فلاح جاهل . وهو أمر آثار الدهشة والاستنكار لدى ذلك الجنرال البروسى الارستقراطى .

والآن وبعد مرور سنة ، سوف يرى فون شولتزن هتلر من جديد . ولكن الظروف أصبحت مختلفة هذه المرة . فما بشر به

الفوهرر فى تفاؤل وثقة خلال غداء نهر « دنيبر » لم يتحقق ، وعلى عكس ذلك أصبحت طلائع الجيش الأحمر على بعد يقل عن ستين ميلاً من راستنبورج نفسها ، كما أن المعركة فى نورماندى لم تكن تدور فى صالح الجيش الألماني .

ومع ذلك فقد اعترف هذا الجنرال البروسى فيما بعد أنه كان مستعداً فى صباح ذلك اليوم الذى نزل فيه من قطار الفوهرر فى غابة راستنبورج القائمة ، لأن يتلقى حقنة جديدة من الثقة فى مصير ألمانيا . فقد كان فون شولتز يؤمن بمصير بلاده ، وكان لا يزال يعتقد فى ذلك الصباح بأن فى إمكان ألمانيا أن تكسب الحرب . وقد جاء إلى راستنبورج ليحدد اقتناعه وثقته على يد هتلر .

فمثلما يحج المؤمن إلى أماكن دينه المقدسة ليثبت إيمانه ، فقد ذهب شولتز إلى راستنبورج ليجدد ثقته فى الرايخ الثالث على يد الرجل الذى كان يحكمه .

وكان يريد أكثر من أى شئ آخر أن يخرج من اجتماعه به وقد ارتفعت روحه المعنوية واطمأن إلى أنه لا تزال هناك فرصة لتغيير مجرى الحرب .

وكان « ياور » هتلر الخاص هو الذى استقبله فى محطة راستنبورج . فركب معه سيارته « المرسيدس » التى انطلقت بهما بين الأشجار المتشابكة التى تتألف منها الغابة الكثيفة التى تظل « وكر الذئب » كما أصبح يدعى المكان الذى أقام فيه هتلر مع قيادته . وكان « وكر الذئب » محاطاً بثلاث حلقات أمن ، على المتجه إليه أن يقف عند مدخل كل منها . وعندما بلغت السيارة مدخل الحلقة الأولى ، انزلت جميع حقائب فون شولتز من السيارة لتفتيشها . وقال له « الياور » فيما يشبه الاعتذار أنه بدأ تطبيق هذه الإجراءات الاحتياطية منذ ٢٠ يوليو ، وهو اليوم

الذى اكتشفت فيه المؤامرة الشهيرة التى كان قد دبرها عدد من كبار قواد المانيا للتخلص من هتلر .

وبعد ذلك عبرت السيارة الاحزمة الثلاثة من الأسلاك الشائكة ومن حقول الألغام وأوكر المدافع الرشاشة التى كانت تحيط بمقر هتلر ، وأخيرا اجتازت الحاجز النهائى الذى يحرس طريق قدس الأقداس النازى .

وهناك فى حفنة من المباني المجاورة لبركة صغيرة ، وفى ظل حراسة سبع سرايا تابعة لفرقة الصاعقة الألمانية التى تحمل اسم « المانيا الكبرى » كان يعيش أدولف هتلر ومعه مساعده الرئيسيون .

وكان بورجدورف ينتظر شولتتز فى الساحة القائمة التى تقع بجانب مخبأ هتلر . فحتى فى ذلك اليوم من أيام الصيف ، كانت بضعة أشعة قليلة ضعيفة فقط من الشمس هى التى تخترق الغابة التى تغلف « وكر الذئب » .

ووقف الرجلان ينتظران الإشارة التى تستدعيهما الى الاجتماع بهتلر .

وكان شولتتز يعرف انه ليس من المناسب أن يستجوب بورجدورف عن زيارته ، ولكنه وجه اليه سؤالاً واحداً هو :
- لماذا تم اختياره لقيادة منطقة باريس الكبرى ؟

فأجابه بورجدورف بقوله :

- لأننا نعلم أنك تستطيع أن تقوم بالعمل الذى يجب القيام به هناك .

بعد ذلك ببرهة قصيرة أشار لهما رجال الصاعقة الواقفون عند مدخل المخبأ ، فدخل شولتتز ليتسلم من حاكم الرايخ الثالث قيادة أجمل مدينة فى الدنيا .

وبينما أمسكت أصابعه فى عصبية بحافة لباس رأسه
العسكرى ، عبر شولتتز الحجرة الكبيرة المضأة بأنوار النيون
الخالية من النوافذ متجها نحو الرجل الذى وقف مستندا الى
المكتب العريض الموضوع فى اقصى الحجرة . ثم رفع يده اليمنى
فى التحية التى اصبحت هى التحية الرسمية للجيش الالمانى منذ
٢٠ يوليو . وكان بورجدورف يقف وراءه مباشرة .

ونظر شولتتز فى عينى الرجل الذى يواجهه اللتين انطفا منها
اللمعان ، وأدرك على الفور أن هذا ليس هو نفس الرجل الذى
جلس امامه على مائدة الفداء منذ عام مضى . فقد تحول هتلر الى
رجل مسن . وجهه ظهرت فيه التجاعيد وعلامات الارهاق . وكتفاه
تهدلتا . وكان يمسك كفه الايسر بيده اليمنى ليخفى الرعشة
الخفيفة فى ذراعه الايسر .

ولكن أكثر ما صدم شولتتز كان صوت هتلر . فذلك الصوت
الجهورى القوى الذى طالما جعله يحبس أنفاسه وهو يستمع اليه
فى الراديو . . ذلك الصوت الذى صب فيه ثقة جديدة فى العام
الماضى ، قد وهن وخفت بحيث تحول الى همس شيخ متهدم .

وفى الواقع ، لم يسمع شولتتز جيدا الكلمات الاولى التى
نطقها هتلر عندما التفت الى بورجدورف وسأله :

ـ هل ابلغ بمهمته الجديدة ؟

ورد بورجدورف قائلا :

ـ بشكل عام . . نعم .

ثم بدا هتلر يتكلم :

اولا بدأ يتحدث عن الماضى بلا هدف محدد ، معرجا على نقاط
بعيدة فى حياته . فشرح كيف أسس الحزب النازى وجعله جهازا

مثالاً لحكم الشعب الألماني . وأكد أن ذلك الحزب قد وفر لألمانيا ما كانت في حاجة إليه لتوجيه روحها المحاربة .

ثم بدأ صوته يرتفع . فتعرف شولتتز عندئذ على صدى لذلك الرجل الذي كان قد رآه منذ عام .

وتحدث هتلر عن الانتصارات التي يعد لها ، وقال لشولتتز إن نورماندي ليست إلا نكسة مؤقتة وأنه سوف يقلب الآية قريباً بالأسلحة الجديدة التي يخزنها .

ثم فجأة وبلا إنذار تحول هتلر إلى موضوع آخر . اشتدت قبضة يديه على حافة مكتبه وبمال نحو شولتتز حتى كاد وجهه يلامس وجهه وانقلب حديثه إلى صباح .

وصرخ قائلاً :

— يا سيدي الجنرال ، منذ ٢٠ يوليو تدلّ دلالات من الجنرالات — نعم ، عشرات — على حبال المشانق لأنهم أرادوا أن يمنعوني أنا أدولف هتلر من مواصلة عملي . . من تحقيق رسالتي في قيادة الشعب الألماني .

وكان العرق يملأ جبهته ، ونقط صغيرة من الزيت تظهر على جانبي فمه ، وجسمه كله يرتعش وهو في حالته العصبية تلك ، واستطرد يصرخ في شولتتز قائلاً :

— لكنه لا يوجد شيء يمكن أن يوقفني ، سوف أستمع إلى أن أفود الشعب الألماني إلى انتصاره النهائي .

وظل هتلر يصيح مردداً نفس المعاني ، ومتوعداً « عصابة الجنرالات البروسيين » الذين حاولوا قتله ، ومعدداً أنواع التعذيب التي سوف يعرضهم لها قبل أن يبعث بهم إلى قبورهم . . وأخيراً ، هداً وتهاوى في مقعده . .

وبعد فترة صمت طويلة ، عاد يتحدث ثانية ، ولكن في هذوء في هذه المرة . وأصبح صوته عبارة عن همس خافت مثلما كان في أول الاجتماع . وبدأ كان المشهد الذي حضره فون شولتتز لم يحدث قط ، وقال للجنرال الذي قطع أوروبا ليحيى اليه :

— أنت الآن سوف تذهب الى باريس ، وهي مدينة يبدو أن القتال الموحّد الذي ينور فيها هو اقتتال القضاة على موائد نواديهم .

واستطرد قائلاً لشولتتز :

— أن هذا الوضع مشين ، وأن واجبه الأول هو أن يضع حدا له ، وعليه أن يحول باريس الى مدينة « خط أول » ومصدر رعب للمتهاونين والمنحرفين في كل مكان .

وأوضح هتلر أن هذه ستكون الخطوة الأولى وأن وراءها أعمالا أكبر ينتظرها منه . .

ثم قال لشولتتز أنه قد قرر منحه أوسع الصلاحيات التي يمكن أن تمنح لقائد حامية مدينة ، وهي صلاحيات تتيح له أن يحكم باريس كما لو كانت قلعة محاصرة . .

وأضاف هتلر :

— عليك أن تسحق بلا رحمة أية ثورة يقوم بها السكان المدنيون أو أي عمل من أعمال الإرهاب أو التخريب يوجه ضد القوات الألمانية المسلحة .

وطمأنه الى أنه يمنحه تأييده كله في هذا المجال .

وأصبح واضحا أن المقابلة قد انتهت ، فادى شولتتز التحية النازية من جديد واستدار وسار نحو باب الخروج . وأحس أن عيني هتلر ظلنا تحدقار في ظهره الى أن بلغ الباب .

وفي الخارج التفت شولتتز نحو بورجدورف لعله يجد لديه إشارة مطمئنة . . ولكنه لم يجد ما يبحث عنه .

فقد كانت الدقائق القليلة التي عاشها ذلك الضابط الروسي القصير القامة منذ لحظات ، من أعنف التجارب التي هزته في حياته لقد قطع نصف قارة على أمل أن يجد زعيما في هذا المخبأ يجدد إيمانه بالسلاح الألماني . ولكن ديتريش فون شولتتز وجد رجلا مريضا بدلا من الزعيم ، ووجد الشك بدلا من الإيمان . .

ولسوف يتوقف الكثير في الأيام القادمة على خيبة الأمل التي انتابت ذلك الجنرال البروسي هذا الصباح .



فى قصر لو كسمبرج الفخم بباريس ، اقام الجنرال فيلدمارشال هوجو شبيرلى القائد العام للطيران الالمانى فى الجبهة الغربية ، مائدة عشاء تكريما للجنرال فالتر فارليمونت مدير العمليات بالقيادة العليا لهتلر .

وكان فارليمونت قد قام بجولة تفتيشية فى الجبهة الغربية وشاهد فشل الهجوم المضاد الذى شنه الالمان فى « افرائش » بهدف سد الثغرة التى فتحتها الحلفاء فى خطوطهم والتى بدأت دبابات الجنرال الأمريكى باتون تتدفق منها على « بريتانى » .

وكان الجنرال فارليمونت فى ذهول للتناقض الصارخ بين ما لمسه من عدم مبالاة وتعلق بالأوهام لدى رجال القيادة الالمانية فى باريس وبين الهول الذى شاهده بعينيه فى جبهة نورماندى التى لا تبعد أكثر من مائتى ميل عن القصر التاريخى الرائع الجمال الذى دعى لتناول العشاء فيه على ضوء الشموع . ووصل ذهوله الى قمته عندما رفع مارشال الطيران البدين شبيرلى كأسه ودعا الى شرب نخب « مدينة باريس التى سوف يرفرف عليها العلم الالمانى لمدة ألف عام ، فقد كانت تلك الجملة تجسد الهوة السحيقة القائمة بين ما يدور فى اذهان القواد الالمان وبين الحقائق الرهيبة المسيطرة على جبهات القتال .

ولكن النخب الذى دعا شبيرلى الى شربه ، وان كان لا يتمشى مع الواقع ومع سير الاحداث ، الا أنه كان يعبر فى صدق عما يتمناه عدد كبير من الضباط وحتى الجنود الألمان الموجودين فى باريس . فقد كانت سنوات الحرب التى عاشوها فى العاصمة الفرنسية هى أجمل سنوات حياتهم .

الضابط المحب للموسيقى «الفريد شلينكر» الذى يتولى الترجمة فى المحكمة العسكرية التى تحكم بالاعدام رميا بالرصاص على عسود متزايد من الباريسيين يوميا ، لم تفته حفلة واحدة فى أوبرا باريس خلال ثلاثة أعوام كاملة .

فالاستماع الى موسيقى الأوبرا كان يبعد عن ذهنه أصوات صراخ ضحايا المحكمة الذين كان يتعين عليه أن يحضر تنفيذ أحكام الاعدام فيهم فى «مون فالريان» . وفى ذلك المساء ، فى صالة الطعام الخافتة الاضاءة فى فندق « كريون » الذى اتخذه القضاء العسكرى مقرا له ، سوف يتناول طبق طعامه المفضل « الكرشة ألا كونيغزبرج » . . . أى الكرشة المعدة وفقا للأسلوب المتبع فى مدينة كونيغزبرج . .

وعلى بعد أميال قليلة من فندق « كريون » فى الفيلا المصادرة المخصصة لاقامته فى ضاحية « نيسى » كان الكولونيل هانز جاى يستعد للخروج وقضاء السهرة فى ملهى «شهرزاد» ويمنى نفسه بالتوفيق فى اغراء الشابة الجميلة التى سوف تسهر معه هذه الليلة . فمند أن وصل هذا البطل الدولى السابق فى ركوب الخيل الى باريس فى سنة ١٩٤٣ ، اصبح شخصية مرموقة فى حياة الليل فى باريس وفى هذه الأيام الأولى من شهر أغسطس ، لم يكن يجد مايدعوه الى التفكير فى تغيير نظام حياته اللذيذ . .

وراء غابة بولونى وفى المنزل رقم ٢٦ بشارع رفايل فى قلب حى « باسى » السكنى ، كانت فتاة شقراء جميلة عمرها ٢٤ سنة تتولى اضاءة الشمعدانات الفضية الثقيلة فى المنزل الباريسى لفرنسوا كوتى

ملك العطور الفرنسية . . مثلما فعلت بانتظام كل مساء منذ أربعة أعوام ، فقد كانت أنا بيلا فالدنر خلال هذه الأعوام الأربعة هي المضيفة الرسمية في هذا المبنى الفاخر الذي أصبح مقر الحاكم العسكري لمدينة باريس . وفي صالونات هذا القصر شاهدت صفوة شخصيات الرايخ الثالث ، وإيطاليا الفاشستية ، وفرنسا فيشي يروحوون ويحييتون . وكانت أقبية النبيذ والحجرات الملحقة بالمطابخ التي تشرف عليها تحتوي على أندر أنواع الخمور الفرنسية وأرقى أصناف الكافيار الروسي وكافة الأطعمة الممتازة الأخرى التي استطاعت أوروبا المحتلة أن تزود بها محتليها . وكانت السنوات الأربع الماضية بالنسبة لهذه الشابة الحسناء أشبه بحلم جميل . كانت لها سيارتها الخاصة وسائقها ، وكانت من زبائن إحدى خياطات باريس الشهيرة وكان لها فوق هذا كله مقصورة خاصة في دار الأوبرا من المقصورات المخصصة للجنرالات .

ولم يكن الألمان فقط من أمثال أنا بيلا فالدنر وهانز جاي هم الذين كانوا يتمنون في ذلك المساء لو أن الصليب المعقوف النازي ظل مرتفعا فوق العاصمة الفرنسية مدة ألف عام . . فبعض الباريسيين أيضا كانوا يشاركونهم أمنيةهم .

فانتوانيت شاربونيه الفتاة السمراء ذات الخمسة والعشرين عاما والشعر الكستنائي ، بنت التاجر الباريسي المحترم الذي فقد إحدى ذراعيه في معارك « فردان » في الحرب العالمية الأولى ، لم تكن ترى ما يمكن أن يكون أسوأ في الدنيا من أن تتحرر باريس .

انتوانيت شاربونيه كانت تحب ضابطا ألمانيا ، وكان الغزاة الذين حققوا النصر في عام ١٩٤٠ ، بنظراتهم الصارمة وصدورهم المنتفخة وشعرهم الأشقر ، يمثلون في نظرها عالما أحست فجأة بأنها تود أن تعيش فيه . . عالما من القوة والجمال والرجولة .

وقد عاشت فى هذا العالم مدة أربع سنوات ، متحدية الجميع :
أهلها ، واصدقاءها ، والعالم الذى نشأت وترعرعت فيه . . . ورفقة
صديقها الالماني الهاوبتمان - أى النقيب - هانز فيرنر . استمتعت
بالعهد الذهبى للرايخ الثالث فى باريس . وكان بعض مواطنيها
يبصقون على الأرض أحيانا عند رؤيتهم لها متعلقة بذراعه ، متقلبة
معه بين المباهج الباءيسة التى كادت تصبح حكرا للألمان ، كما أن
بعض خطابات التهديد قد بدأت تصل اليها مؤحرا . . . ولكن هامها
بهانز فيرنر وتشبعها بالتأثير المخدر للدعاية النازية ، جعلها تظل
على ايمانها بقدرة هتلر على صنع المعجزات .

لم نستطع أن نتصور أن الحياة التى تعيشها يمكن أن تنتهى . . .
وفى هذا المساء سوف ترقص بين ذراعى هانز فيرنر فى «المونسنيور»
. . . وبينما كانت تكمل زينتها استعدادا للخروج فى شقتيها بشوارع
«موزار» كانت تبتسم فرحا فى انتظار السهرة الهنيئة التى تتوقعها

ولكن من بين جميع الألمان الذين كانوا يستعدون للاستماع بليلة
أخرى من الليالى القليلة المتبقية لهم فى باريس المحتلة ، ربما كان
العزيز هلموت ماير أكثرهم ترقبا لهذه السهرة . كان ماير هو
مراسلة ديتريش فون شولتتز ، أى الجندى المكلف بخدمته . وكان
الجنرال قد تركه ينتظره فى باريس . وفى هذا المساء سوف يشاهد
ماير فيلما سينمائيا لأول مرة منذ عشرة أشهر . وسيكون فيلما ألمانيا
يعرض فى سينما «فندوم» بشوارع الأوبرا ، وهو الحلقة الأولى من
سلسلة افلام «عائلة بوخهولتز» . وكان ماير يرجو الا يعود
شولتتز سريعا لأن الحلقة الثانية من هذه السلسلة لن تعرض قبل
الاسبوع القادم وهو حريص على الا تفوته .



لكن الخيبة كانت تنتظر آمال ماير ، لأن ديتريش فون شولتتز كان قد أصبح فعلا في طريقه الى المدينة التي بات مستقبلا بين يديه . فقد غادر براستنبورج في الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم السابع من اغسطس . في نفس القطار الذي جاء به اليها .

وفي هذه المرة رافقه الى المحطة أحد ضباط الصاعقة الشبان التابعين لفرقة « ألمانيا الكبرى » . . . وعندما هم الجنرال بالصعود الى القطار ، أمسك الضابط الشاب بيده وتمتم في حرارة :

— حظ طيب ياسيدى الجنرال كم اغبطك على فرصة الذهاب الى باريس !

ظل شولتتز يفكر في كلمات الوداع التي قالها له الضابط الشاب بعد أن أصبح وحيدا في حجرة نومه بالقطار ، ورأى فيما أعربت عنه من حماسة شيئا من السلوى والعزاء . فبعد أحداث ذلك اليوم الذي قضاه في مقر القيادة العليا لهتلر ، لم يكن يتصور أن هناك في الدنيا بأسرها من يمكن ان يغبطه على الذهاب الى باريس .

بعد الظهر كان قد استدعى الى مكتب «الجنرال - أوبرشت» - أي الفريق الأول - ألفريد يودل رئيس هيئة أركان الحرب الألمانية الذي

مسلمه أمر تعيينه في باريس المؤلف من خمس نقاط . وكان أمر
التعيين يؤكد ما كان هتلر قد ذكره له .

انه ذاهب الى باريس بصلاحيات لم تعط رسميا من قبل لاي جنرال
الماني سواء في باريس أو أية مدينة أخرى خاضعة للرايخ . انه ذاهب
بوصفه قائدا لقلعة محاصرة . وقد قال له يودل أن التعليمات التي
يتضمنها أمر التعيين هي التعليمات المبدئية فقط الصادرة إليه ،
وأن القيادة العليا سوف تبعث إليه فيما بعد بملاحق لها . فالأيام
القبلة سوف تكون أياما حاسمة ، وسوف يطلب منه ان يؤدي
الكثير في باريس .

وبينما كان شولتتز جالسا في حجرة نوم القطار ، يفكر فيما سمعه
.. بدأ يكون صورة ما عما سوف تتوقع القيادة العليا منه أن يفعله
في باريس . أخذ يدرك أنه سوف يطالب بتخليد اسمه وشرف
عائلته عن طريق إبادة مدينة يبلغ عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف
مليون .

وأحس شولتتز بالكآبة تغمره وهو يتطلع من النافذة الى أشجار
الغابة التي كان القطار يسير فيها قبل أن يصل الى سهول بروسيا
التي تؤدي به الى برلين .

لقد جاء الى هنا باحثا عن الأمل ، وها هو ذا يعود مهتزا ، متجها
الى أداء مهمة أخذت الشكوك تساوره منذ الآن بشأنها . وأخرج من
جيب صدره سيجارا كان الجنرال فيلد مارشال فيلهلم كايتل قد قدمه
له بعد الغداء ، ولكنه لم يجد معه ما يشعله به . فقام وخرج الى المحر
الممتد أمام حجرات نوم القطار بحثا عن يشعل له السيجار . على بعد
مابين منه ، وجد رجلا مطلا من النافذة وهو يدخن سيجارا .

اقترب شولتتز منه ، وتبين انه أحد كبار رجال الصاعقة الذين حضروا الغداء في مقر القيادة العليا معه ، وتذكر اسمه هو «روبرت لي» .

اشعل له «لي» سيجاره ، واخذ ايتجاذبان أطراف الحديث ، فأنبأه شولتتز بأن هتلر قد استقبله لأول مرة في حياته هذا الصباح ، وبأنه قد عين لمنطقة باريس ، فهنأه لي بمنصبه الجديد واخذ يحدثه عن الزيارات الممتعة التي كان هو قد قام بها لباريس في اثناء الحرب ولكنه أضاف أن شولتتز سوف يجد باريس مدينة مختلفة بكل أسف عندما يصل اليها ، وان باريس أصبحت محتاجة الآن لصراة وحزم احد قواد الميدان .

ثم قال « لي » أنه قد حصل على زجاجة قديمة فاخرة من نبيد بورديو الفرنسي من مقر القيادة العليا ، وأنه يسعده أن يشترك في شربها مع القائد الجديد لمنطقة باريس .

أحضر « لي » الزجاجة الى حجرة نوم شولتتز ، وبدأ الرجلان يشربان . .

شربا أولا نخب الفوهرر ونخب نجاح شولتتز في عمله الجديد . . وبعد ان تحدثا في موضوعات مختلفة ، صارح «لي» رفيعه بأنه هو الآخر قد اجتمع بهتلر في ذلك اليوم . وقال أنه قد استدعى ليعرض على الفوهرر صيغة قانون جديد في النية اصداره ، كان قد كلف بوضعها أخيرا . وقال أنه بعد أن أجريت عدة تعديلات على القانون ، تمت موافقة الفوهرر عليه بعد ظهر ذلك اليوم ، وسوف يصدر في برلين خلال أيام قليلة .

وقال « لي » ان اسم القانون الجديد هو « اعتقال وحبس الاقارب » . ثم شرح لشولتتز أغراض ذلك القانون . فقال انه قد وضع خصيصا لمواجهة الظروف البالغة الدقة التي أصبحت ألمانيا تواجه

نفسها فيها • فالرايخ - كما يعلمان - سوف يحتاج الى الولاء الذى لا يتزعزع لجميع جنوده من أجل كسب الحرب • وأضاف أن ما دعا الى التفكير فى اصدار القانون الجديد هو الحقيقة المؤسفة التى انكشفت مؤخرا والتى اظهرت أن بعض كبار القوادى الالمان قد خذلوا بلادهم • فبعضهم قد استسلم وبعضهم قد أثبت عجزه عن اداء المهام المكلف بها • كما كانت هناك المؤامرة التى دبرت ضد هتلر •

واستطرد «لى» قائلا أن القانون الجديد قد وضع لمنع وقوع امثال هذه الحوادث • فهو ينص على اعتبار أسر الجنرالات الالمان مسئولة من الآن فصاعدا عن أى نقصير يظهر منهم • أى أن هذا القانون يجعل من عائلات الجنرالات أشباه رهائن لدى الدولة ، تضمن حسن سلوك الجنرالات •

واعرف «لى» بعد أن أخذ نفسا عميقا من سيجاره بأن اصدار هذا القانون هو اجراء دال على التطرف ، وأن أحكام القانون هى بالضرورة شديدة الصرامة ، فهى تنص على أنه فى الحالات التى يصل فيها تقصير أى جنرال الى حد خطير ، ويستحيل على العدالة الالمانية أن تصل اليه بسبب وقوعه فى الأسر •• فان أفراد عائلته يحكم عليهم بالاعدام بدلا منه •

احس شولتتز بالغنيان بعد سماع هذه الكلمات ، وحاول عبثا أن يجد كلمات يواصل بها الحديث •• وأخيرا قال فى صوت منقطع : أنه اذا كانت المانيا سوف تلجأ الى مثل هذه التصرفات ، فانها تعود بذلك الى القرون الوسطى •

فتنهده «لى» وهو يرد عليه قائلا : نعم •• ربما •• ولكنه أعاد على مسامع شولتتز عبارة كان قد ردها مرارا أثناء الحديث ، وهى : يجب ألا ننسى أن الظروف الآن غير عادية •

بعد ذلك ، انقطع الحديث بين الرجلين ، وما لبث « لى » أن استأذن
فى أن يأوى الى حجرتة •

أغلق شولتتز على نفسه باب حجرتة بعد خروج «لى» واستعد
للنوم ثم فعل شيئاً لم يفعله من قبل أبداً فى حياته ، فبدلاً من أن
يتناول حبة منومة واحدة ابتلع ثلاث حبات مرة واحدة والقى بنفسه على
سريره •

فى الصباح سوف يستقل شولتتز قطارا آخر ، ينقله هذه المرة الى
بادن - بادن • هناك سوف يودع زوجته وابنتيه ماريا أنجليكا ذات
الأربعة عشر عاماً وانا بربارا ذات الثمانية أعوام ، ومعهن الهبة التى
ظل هذا الضابط البروسى المجرد من العواطف فى الظاهر ينتظرها
طوال حياته • • ابنه تيمو البالغ من العمر أربعة أشهر •



فى طريقه من راستنبورج مقر القيادة العليا لهتلر ، الى بادن -
بادن التى قرر الجنرال - لويتنانت (اللواء) ديتريش فون شولتتز
التى قرر الجنرال - لويتنانت (اللواء) ديتريش فون شولتتز
زيارتها ليرى أسرته المقيمة فيها ، قبل أن يسافر الى باريس ، لم
يتوقف القائد الجديد لمنطقة باريس الكبرى الا فى برلين .

هناك ، نزل من الفطار الخاص بالفوهرر ليجد فى انتظاره برتبة
تحميل توقيع الجنرال بورجدورف رئيس قسم شئون الضباط بالقيادة
الألمانية العليا ، وتبلغه بأنه قد رقى بناء على أمر خاص من الفوهرر
الى رتبة « جنرال » أى « فريق » .

وطوال الليلة التى قضاها شولتتز فى القطار الذى أقله من برلين
الى بادن - بادن ، ظل يفكر فى الأسباب التى دعت الى ترقيته هذه
الترقية المفاجئة . فقد كان يعلم ان القيادة العليا الألمانية لم يسبق
لها أبدا أن عينت قائدا برتبة « فريق » على رأس حامية أية مدينة
أو عاصمة ، وان جميع من تولوا قبله القيادة العسكرية فى باريس
نفسها لم تزد رتبة أى منهم أبدا عن رتبة « لواء » .

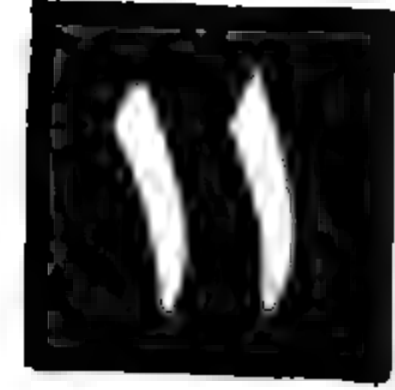
وأخيرا قرر فون شولتتز أن يكف عن تعذيب نفسه بالتفكير فى
هذا الموضوع ، عندما رأى القطار الذى يستقله يقترب من ضواحي

بادن - بادن . . ان زوجته أوبرتا وهى بنت ضابط وحفيدة جنرال سوف تشعر بسعادة ما بعدها سعادة هذا الصباح عندما تراه يحمل على كتفيه شارات الرتبة الجديدة التى ارتقى اليها .

وظلت بنتاه تذكران لمدة طويلة الافطار الهائل الذى صاحب زيارة والدهما للبيت فى ذلك الصباح . فقد أحضر معه من راستنبورج لفة كبيرة تدعى « لفة الفوهرر » هى الهدية التى كان هتلر يقدمها لزوار مقره « وكر الذئب » فى تلك الايام . . وكانت تلك اللفة تحتوى على أنواع من المأكولات كان الألمان قد كفوا عن العثور عليها فى الاسواق منذ أعوام .

ولكن البنيتين لم يتح لهما أن تريا أباهما الا لفترة قصيرة جدا ذلك الصباح ، ففى حوالى الساعة العاشرة عانق فون شولتتز أفراد عائلته مودعا وغادر المنزل . فقد كان يريد أن يصل الى باريس فى مساء ذلك اليوم . ولم تصاحب رحيله أية مظاهر عاطفية من مظاهر الوداع ، فقد خدمت أسرة فون شولتتز العلم الألماني جيلا بعد جيل وتعلم أفرادها كيف يكتبون آلام الفراق .

وبالنسبة لأوبرتا فون شولتتز ، لم تكن باريس الاموقعا آخرى يؤدى فيه زوجها عمله . واذا كانت قد شعرت بأية مخاوف غير عادية فى هذا الصباح ، فقد كانت تلك المخاوف مخاوف نسائية محضة ، تعكس الفكرة الخاصة التى تحملها فى ذهنها عن باريس . فقد لاحظت أن زوجها أخذ معه ، وهو متجه الى منصبه الجديد فى العاصمة الفرنسية ملابسه المدنية علاوة على ملابسه العسكرية .



في المدينة التي كان فون شولتتز يتجه اليها حاملا أوامر هتلر الخطيرة ، كان هناك شاب يغنى لنفسه في صوت خافت وهو يركب دراجته في شارع سان مارتان شبه الخالي من المارة . . كان عاشقا وكان متحمسا بكل كيانه لقضية أصبح يعرف الآن أن ساعة انتصارها قد دنت ، وهي قضية مقاومة الاحتلال .

وقد كان هذا الشاب - ايفون مورندا - من الذين انضموا الى ديجول منذ البداية ، فأصبح الآن من بين القلائل الذين يعتمد عليهم رئيس فرنسا الحرة اعتمادا كبيرا في باريس .

وكان شارع سان مارتان ينحدر أمامه نحو جزء منخفض منه ، عندما سمع الشاب لهاث راكب دراجة آخر ورائه يجري للحاق به . وفي اللحظة التي حاذت فيها عجلة دراجة القادم الخلفية عجلة دراجة مورندا الامامية ، مد الراكب المجهول ساقه وركل في عنف دراجة مورندا ركلة جعلت عجلتها الامامية ترتطم بحافة الرصيف ، فاختل توازن مورندا ، وانكفا على يدي الدراجة في طريقه الى الوقوع فوق العجلة الامامية .

وبينما كان مورندا يتدحرج واقعا سمع ورائه صوت سيارة تزيد من سرعتها فجأة ، كما سمع بعد ذلك مباشرة الصوت الحاد الذي

أحدثته اطارات السيارة وهي تحاول أن تصعد فوق الرصيف ،
فغرس مورندا أصابعه فى الحائط محاولا أن يستند اليه وهو يهم
بالوقوف .

ووقعت الدراجة من تحته بينما رأى الكتلة السوداء تندفع نحوه
وهو شبه ملتصق بالحائط ، وتمر فوق نفس المكان على الرصيف الذى
كان المفروض أن يكون قد ظل واقعا فيه ، وحطمت السيارة فى
اندفاعها اطارى دراجته . وأحس بحافتها تلامسه فى اللحظة الخاطفة
التي مرت خلالها به ، ولم تتوقف السيارة وانما على عكس ذلك رادت
من سرعتها ثم انحدرت يسارا الى شارع سان ديس ، واخفت عن
أبصاره .

وكان مورندا لا يزال يرتعش عندما وصل اليه أحد المارة وأخذ
يساعده على الوقوف ، وهو يصيح : « يا الهى . . لقد حاولوا قتلك ! »
ترك مورندا دراجته وواصل سيره على قدميه الى المكان الذى
سيجتمع فيه بثلاثة شبان آخرين . عندما اقترب منهم كف الشبان
الثلاثة عن الكلام ، وفى أمارات الدهشة التى ارتسمت على وجوههم ،
قرأ مورندا تأكيد ما كان يشك فيه .

كان الشبان الثلاثة ينظرون اليه كما لو كان ميتا قد خرج من
قبره . وكانوا هم وحدهم من بين جميع أهالي باريس الذين يعرفون
أنه فى هذا الصباح وفى هذه الساعة بالذات سوف يكون أحد القادة
الديجوليين ويدعى ايفون مورندا ، راكبا دراجة وسائرا فى شارع
سان مارتان فى اتجاه نهايته . وكان الثلاثة من الشيوعيين ، وكان
مورندا واثقا من انهم قد حاولوا منذ لحظات قتله .

وفى حى آخر من أحياء باريس ، وفى شقة عامل « سمسكرة »
متواضعة كان شيوعى آخر يستعد لأكبر حدث فى حياته التى كانت
قد قطعت عندئذ ستة وثلاثين عاما ، كان اسم هذا الشيوعى هنرى
تانجى . ولكن اسمه الحركى كان « الكولونيل رول » وكان منهما

فى التحضير للثورة المسلحة التى أصدر ديجول أوامره بمنع قيامها
فعندما تقوم تلك الثورة كان هو الذى سوف يتولى قيادتها .

فمنذ اليوم الذى عهدت فيه لجنة الأعمال العسكرية التابعة لحركة
المقاومة السرية ، والتى يسيطر عليها الشيوعيون ، الى هذا الرجل
الهادىء الصوت ، ابن البحار ، المولود فى إقليم بريتانى ، بالقيادة
المستترة لقوات المقاومة فى باريس . . وهو يعمل ليلا ونهارا مع
رجالها فى الاستعداد للثورة .

والواقع أنه كان يستعد للثورة بوجه عام طوال حياته ، فقد اضطر
الى قطع دراسته وهو فى الثالثة عشرة من عمره ليعمل ، ولكنه واصل
تعليمه ليلا . وعندما بلغ الواحد والعشرين انضم الى الحزب الشيوعى
وفى أيام الجبهة الشعبية الصاخبة كان قد فصل على التوالى من مصانع
سيارات رينو وستروين وبريجيه بسبب نشاطه النقابى . وقد حارب
فى اسبانيا خلال الحرب الأهلية . وعندما نشبت الحرب العظمى
جرح أثناء خدمته فى لواء مشاة سنغالى ، وبمجرد أن شفى من إصابته
التحق بحركة المقاومة السرية ولم يتوقف عن القتال منذ ذلك الحين

كان شيوعيا مخلصا ومنتظما ، وفرنسيا وطنيا ، وقائدا
شجاعا ، حتى أعداءه السياسيين - وكانوا كثيرين - كانوا
يعترفون له بالبسالة . ولم يكن أى من هؤلاء الأعداء يشكل
تهديدا لمطامع « رول » مثل القيادة الديجولية فى المدينة التى
يمثلها رجال مثل ايفون مورندا راكب الدراجة الذى كان يسير
فى شارع سان مارتان .

وان يشك الديجولى مورندا فى ان الشيوعيين قد حاولوا
اغتياله . وأن ينظر رول الى الديجوليين على انهم أكبر خصومه
السياسيين . . كانا فى ذلك اليوم من امارات الانقسامات
السياسية الحادة التى اخذت تهدد بتمزيق حركة المقاومة
السرية فى الوقت الذى كانت تقترب فيه من أروع ساعاتها .

وكان جوهر الانقسام يكمن في تصميم الشيوعيين على أن يواجهوا بأنفسهم الموقف في باريس .

كان روجيه فييون - احد كبار القادة الشيوعيين - يقول : « ان الوضع في باريس لا يعتمد على الديجوليين ، وانما على جماهير المدينة وعلى قدرتنا على تعبئة هذه الجماهير » .

ولم تكن تلك الجماهير تتألف كلها من الشيوعيين بأي حال من الاحوال . ولكن أغلبيتها كانت من الفرنسيين الوطنيين الذين لم يكونوا يطلبون شيئا غير ان تتاح لهم فرصة محاربة الالمان . فباريس في ذلك الوقت كانت قد بدأت تتحمل تحت أقدام محتليها ، وتشعر باللهفة الى محو عار السنوات الاربع الماضية والى العودة الى سيرتها التقليدية في الثورة على الضيم ، ولم يكن الشيوعيون يحتاجون الى اكثر من خطة ذكية لايصال المدينة الى حافة الثورة المسلحة .

وكان لدى الشيوعيين الخطة . وعما قريب سوف يبدأ رجل شيوعي وحيد معه مسدس وثلاثون من الرجال الشجعان اضرابا في ورش السكك الحديدية في « فيلنيف » يكون الاول في سلسلة من الاضرابات تشل حركة المدينة وتدفعها الى حافة الثورة التي كان الشيوعيون يريدونها ، وكذلك عدد كبير من الفرنسيين الوطنيين .

وكانت الخطة تنطوي على اخطار لا يمكن تقدير مداها بالنسبة لباريس وبالنسبة لسكانها وحتى بالنسبة لفرنسا بأكملها . وقد يصبح ثمنها هو تحطيم باريس . ولكن أولئك الذين كانوا يريدون تلك الثورة كانوا على استعداد لدفع الثمن الغالي .

وعما قريب سوف يضرب هذا الشيوعي القادم من إقليم بريثاني إحدى الموائد بقبضته ويقسم على أن باريس تستحق أن تزهق في سبيلها مائتا ألف من الارواح .

على راس السلاالم الرخامية للقصر الفخم الذى يقيم فيه - ٢٦ شارع رفايل - وقف الجنرال هانز فون بوينبرج - لنجسفلد ينتظر فى ذلك المساء الدافئ من أمسيات شهر أغسطس ، ضيفه القادم لتناول العشاء وفى اثناء انتظاره كان يتبادل الحديث مع الملازم الشاب الذى كان يقف بجانبه وهو ياوره الكونت دنكفارت فون أرنييم ، وكانت صلات المودة قد توطدت خلال الثمانية عشر شهرا التى قضياها معا فى باريس بين الجنرال المسن الذى يتنوهته على نحو فظيع احدى الدبابات أمام ستالينجراد، وبين النبيل الشاب الوافد الى جواره .

والواقع انه خلال تلك الفترة لم يكن حكم اى جزء من اجزاء الاراضى الشاسعة التى استولى عليها الرايخ الثالث ، أيسر من حكم مساحة الثلاثين ميلا مربعا التى تتألف منها منطقة باريس الكبرى التى كان الجنرال بوينبرج - لنجسفلد يتولى القيادة فيها .

شيئان إنان فقط قد عكرا صفو هذه الفترة بالنسبة للجنرال أولهما هو وصول ضابط من رئاسة هيئة اركان الحرب فى برلين فى الرابع عشر من مارس سنة ١٩٤٤ ليطلب منه ملفا كان قد ظل مهجلا فى مكتبه منذ اعداده فى اغسطس سنة ١٩٤٢ بعد غارة الحلفاء

على « ديبب » مباشرة • وكان عنوان ذلك الملف هو « اجراءات الدفاع عن منطقة باريس في حالة تعرضها لهجوم بالمظلات عليها » • وقد عاد به الضابط معه الى برلين • وبعد ذلك بعشرة ايام ، رجع الملف الى مكتبه بعد أن وجدت رئاسة هيئة اركان الحرب الخطة التي يتضمنها « منظوية على نواحى نقص جسيمة » وأصدرت اليه اوامرها بوضع خطة أخرى اكثر شمولاً بكثير ومتضمنة لترتيبات « احداث اكبر قدر ممكن من الدمار فى منطقة باريس فى حالة وقوع هجوم معاد عليها » •

أما الشئ الآخر الذى عكر صفو اقامة بوينبرج - لنجسفلد فى باريس ، فقد كان اخطر من الاول بكثير فى رأيه • وكان هو مؤامرة ٢٠ يوليو • فعلى الرغم من انه لم يكن عضوا اصليا فى جماعة المتآمرين الا انه كان قد امر قواته باعتقال جميع رجال الصاعقة والجستابو الموجودين فى باريس وعددهم ١٢٠٠ رجل عندما وصلت كلمة السر التى حددت موعد الشروع فى تنفيذ المؤامرة الى مقر قيادة الجنرال فون شتولبناجل القائد العام السابق فى فرنسا • ومنذ اللحظة التى سمع فيها بعد ذلك فى مساء اليوم نفسه صوت هتلر الحاد منطلقا من اجهزة الراديو ، ظل فى انتظار عقابه •

وقد وصله ما كان ينتظره فى الثالث من أغسطس ، فى صورة برقية مقتضبة من مقر القائد العام للجيش الالماني فى الغرب ، تنبئه بأنه قد اوقف عن عمله كحاكم عسكري لباريس وبأن الجنرال ديتريش فون شولتتز قد حل مكانه •

ولم يكن بوينبرج - لنجسفلد وحفنة الرجال المحيطين به يعرفون شيئا عن الرجل الذى تقرر ان يخلفه فى منصبه غير ما اعلنته السمعة التى سبقته الى باريس ، وهى انه نازى مخلص وبروسى مطيع شديد الدقة • ولكن جنود حامية باريس كانوا يقرنون اسم قائدهم الجديد فى احاديثهم الهامسة عنه باسماء روتردام وسنباستوبول

ووارسو ، وهي المدن التي لجأ الجيش الألماني الى اقصى العنف في
غزوها .

ورأى الجنرال بونبرج - لنجسفلد ضيفه البدين القصير يصل
الى باب القصر مساء ذلك اليوم : التاسع من اغسطس سنة ١٩٤٤
في السيارة « الهورش » المخصصة له ، وعندما سمعه يصرخ « هايل
هتلر » في الحارس الواقف امام باب القصر ردا على تحيته ، ايفن أنه
فعلا من رجال النازي المتطرفين . وتمتم لياوره فون ارنيم وهو
يراه صاعدا السلالم نحوها في خطوات عسكرية صارمة : « يبدو
انه شديد الوعورة » !

وداخل القصر كان ستة من كبار الضباط يجلسون في الصالون
الفاخر ينتظرون في لهفة لقا ذلك الرجل القصير ودراسته وبط
لهم متعالي وجافا وهو يتعرف بهم . والواقع انه ما كان يمكن ان
يعجب شيء في أولئك الضباط التابعين لحامية المدينة المرفهة ،
الجنرال الذي أمضى الجزء الأكبر من سنوات الحرب بين وحول
روسيا .

على المائدة ، روى شولتتز في ايجاز قصة زياته لراستنبورج
.. وبينما كان يجيل نظره في الرجال الذين جلسوا يستمعون اليه
في صمت ، أحس بالوحشة التي سوف تظل ملازمة له طموال
مدة اقامته في باريس ، تلتف من حوله فمنذ ذلك اللقاء الاول بدأ
احساس متبادل بعدم الثقة ينمو بين القائد الجديد وبين اعضاء
هيئة قيادته .

بعد ان استمع فون ارنيم الى مارواه شولتتز ، لم يعد هناك أي
مك لديه حول النوايا التي يضمها هتلر لباريس . وبقي سؤال
واحد في ذهن الكونت الشاب هو :

هل يساعد هذا الرجل الصارم الذى انضم اليهم الليلة هتلر فى تنفيذ تلك النوايا ؟

وخشى فون أرنييم ان يكون قد عثر على جواب لسؤاله فى الحديث الخاص الذى دار بين الجنرالين بعد العشاء • والذى لم يحضره احد غيره •

كان رد بوينبرج - لنجسفلد على الملاحظات القاسية التى أبدتها برلين على خطته هو انه اقترح اقامة خط دفاعى امام باريس يمكنه بالقدر المناسب من المدفعية وبخمسة وعشرين الف جندى ان يشكل حاجزا منيعا على الطريق الى باريس • وكان من شأن هذه الخطة سحب المدافعين عن باريس من داخل باريس نفسها • كما انه لم يضع اية ترتيبات للقيام بأية أعمال نسف كبيرة فى العاصمة •
والان ، وذكرياته الخاصة عن ستالينجراد تؤرقه •• أخذ بوينبرج - لنجسفلد يحث شولتتز على أن يتبع خطته وان يتحاشى دوران القتال فى المدينة نفسها ورجاءه الا يقدم على أى عمل من شأنه ان يسبب دمارا لا يمكن اصلاحه لباريس •

وقد حاول فون أرنييم أن يعرف تأثير هذه الكلمات على شولتتز ولكنه فشل فى ان يعثر فى وجه الجنرال الصارم على أى تعبير •

وبعد دقائق ، انصرف شولتتز •• وفى الردهة الخارجية وجد « مراسلته » الرقيب هيلموت ماير فى انتظاره ، فأصدر اليه أول أوامره فى قيادته الجديدة • قال له : « جهز لى غرفة نوم فى فندق ميريس » •• ثم التفت الى مضيفه الذى كان فى وداعه واطاف فى لهجة ربما لم تخل من سخرية خفيفة : « ان الايام القادمة ياسيدى الجنرال سوف تجعلنى فى حاجة الى مقر قيادة لا مقر اقامة »

وبينما وقف بوبنبرج - لنجسفلد وياوره عند قمة السلالم
يراقبان السيارة « الهورش » وهى تبتعد فى اتجاه غابة بولونى :
امسك الجنرال بذراع ياوره الشاب وهو يقول :

- صدقنى يافون اريم ٠٠ لقد انتهت الى الابد ايام باريس
الحلوة !



بالنسبة لبيير ليفوشو ، كانت الأيام الحلوة قد انتهت في اللحظة التي حطم فيها رجال الجستابو باب الشقة التي كان مجتمعا فيها مع عدد غير قليل من مساعديه مساء السابع من يونيو .. والقوا القبض عليهم جميعا ..

وكان ذلك اكبر نجاح حققه الجستابو في باريس منذ اربع سنوات ، لأن بيير كان قائد المقاومة السرية في باريس ، ولان الذين كانوا مجتمعين معه كانوا من ابرز زعماء حركة المقاومة .

وقد كان نجاح الجستابو هذا هو الذى اتاح للقائد الشيوعى الكولونيل رول ان يحل محل بيير فى القيادة . وكان بيير قد شكا قبل اعتقاله بايام قليلة من ان الشيوعيين يكادون يغرقونه .. وهو يرقد الآن محطم الجسم منهوك القوى بعد أيام من التعذيب المتواصل فوق كيس من القش فى زنزانة مظلمة ، يترقب سماع صوت معين فى الليل .

كان ذلك الصوت هو صوت الرنين المعدنى لعربة قهوة تسير على عجلات من حديد . فقد كان لصوت تلك العربة وهى تحتك بأرضية المر تحتها بأربعة طوابق معنى خاص لدى بيير ولدى نزلاء سجن « فريسن » الآخرين الذين يبلغ عددهم ٢٩٨٠ معتقلا .

ان صدور ذلك الصوت يعنى ان قافلة اخرى من المساجين سوف تغادر سجن « فريسن » فى ذلك اليوم الى معسكرات الاعتقال فى المانيا ..

وتتوتر أعصاب بيير عند سماع الصوت ، ثم ينصت فى الظلام الى اصوات أبواب وهى تفتح واحدا بعد الآخر فى ضجة عالية . وهى أبواب الزنانات التى تضم الرجال الذين اختيروا ليكونوا ضمن القافلة .

ان حراس السجن يقدمون فى ظلام ما قبل الفجر فنجان قهوة الى كل معتقل من الذين سوف يتم ترحيلهم ، هو آخر ما يتناوله فوق ارض فرنسا .

ولم تكن أعصاب بيير تهدأ الا بعد أن يسمع صوت عربة القهوة وهى تمر دون توقف بباب زناناته .

ورأى بيير خيوط النور الخافتة الاولى تشرع فى تبديد ظلام السماء فى الخارج ، فتتنفس الصعداء .

لقد جاء الفجر اذن ، واصبح فى وسعه ان يطمنن الى ان عربة القهوة لن تحضر الى بابه هذا اليوم .. العاشر من اغسطس .

وادرك أنه سوف يقضى يوما آخر فى سجن « فريسن » هو يومه الرابع والستون ، يوما آخر لا يرحل فيه الى « بوختفالد » أو « دخاو » أو غيرهما من المعتقلات الالمانية ذات الشهرة الرهيبة .. يوما آخر يزداد خلاله اقتراب جيوش الحلفاء من باريس ، وهى حاملة معها الامل فى انها قد تحرره بطريقة ما قبل ان يتحرك قطار آخر الى المانيا ، يكون هو فيه فى هذه المرة .

وكان كل صباح من أيام اغسطس هذه يحمل لجميع مساجين الجستابو فى باريس نفس العذاب الذى يحمله لبيير .. نفس المزيج من الامل والخوف .

كانوا اكثر من سبعة الاف سجين ينتظرون في سجون باريس ،
وكانوا قبل ذلك صفوة أعضاء حركة المقاومة السرية .

ولكن الغريب مع ذلك ان بعض مساجين الجستابو كانوا
يتوقون الى الترحيل الى المانيا ويعتبرونه مصدرا للاطمئنان .

فقد كان هناك كثيرون يعتقدون - مثل الصحفية ايفون بانيز
نزيلة سجن « فريسن » - ان الذين سوف يتفون بعد سفر آخر
قافلة ، سوف يعدمون رميا بالرصاص .

ولرجال مثل الكابتن فيليب كوين ومثل لويس ارمان كان أى
شئ يبدو افضل من العيش في ظل التهديد اليسوى بالعرض
لتعذيب جديد على ايدى الجستابو .

وقد كان كوين وارمان نزيلين جديدين في سجن « فريسن » .

كان كوين هو نائب رئيس المخابرات البريطانية السرية في
فرنسا ، وكان ارمان موظفا بالسكك الحديدية ، وقد نظم شبكة
لحركة المقاومة السرية داخل سكك حديد فرنسا . ولم يكن
الجستابو قد انتهى بعد من عصر آخر قطرة من المعلومات من
جسميهما اللذين هدهما التعذيب .

وكان كل يوم جديد يحمل بالنسبة لهما احتمال اخراجهما من
الزنزانة لنقلهما الى حجرات التعذيب بالمقر الرئيسى للجستابو في
شارع « سوميه » .

واستطاع ارمان ان يسمع صيحة خافتة تتردد في السجن
مساعدة من الشوارع في الخارج . كانت صيحة حفنة من
الباريسيين الشجعان يحاولون تشجيع المساجين بصراخهم :
« لن تنقلوا من هنا » .

ولكن هذه الصيحة لم تحمل أى سلوى أو تشجيع لأرمان
المعذب . فلم يكن هناك فى ذلك الصباح ما يمكن أن يسعده أكثر
من أن يعرف أنه قد يغادر « فريسن » ..



على بعد أميال قليلة فقط من سجن « فريسن » ولكن فى عالم
مختلف تماما عن عالمه ، وقف رجل بدين أمام النوافذ العريضة
لمنزله يحاول أن يحصر فى ذهنه جميع الألمان الذين يعرفهم فى
باريس .

وكان ذلك الرجل - وهو راوول نوردلنج القنصل العام
للسويد - يعرف كثيرين من الألمان .. فقد عمل مدة أربع سنوات
قبل التحاقه بالعمل الدبلوماسى مديرا لأحد مصانع بلاده التى
كانت تبيع معدات للجيش الألمانى ، كما أنه كان ضيفا مستديما
فى جميع الحفلات والاستقبالات الرسمية التى يقيمها الألمان فى
باريس بوصفه عميد السلك القنصرى فيها .

وكان نوردلنج يستعرض معارفه من الألمان ليكتشف من بينهم
من يستطيع أن يقوده الى المائى معين كان يبحث عنه بالذات ،
ويهمه ان يلقاه فى ذلك اليوم ، وكان لا يعرف الألمانى الذى يسعى
الى الوصول اليه الا باسم « بوبى » ولم يكن قد التقى به غير مرة واحدة
فى سنة ١٩٤٢ فى شرفة مقهى « شى فرنسيس » فى ميدان « الما » ..

وكان قد عرف كلا منهما بالآخر واحد من الألمان القلائل الذين يشق
نوردلنج بهم ، وهو رجل أعمال من برلين كان القنصل السويدى يعتقد
أنه على صلة « بالأبفير » - جهاز المخابرات العسكرية الألمانى .

وكان صديقه ذاك قد قال له بعد أن غادرا المقهى :

- اذا أردت فى أى وقت ان تفتح لك أية أبواب مغلقة فى باريس،

فاتصل ببوبى ..

وبما أن ذلك كان هو ما يريده راوول نوردلنج بالضبط في هذا الصباح ، فقد أخذ يعصر ذهنه محاولا الاهتداء الى من يمكن أن يفوده الى « بوبى » .

فقد كانت هناك أبواب مغلقة يود الآن فتحها ، هي ابواب زنايات بيير ليفوشو ولويس أرمان وبقية المعتقلين السياسيين في باريس . كان نوردلنج يعرف ان رجال فرق الصاعقة في مدينتي « كن » و « رين » قد قتلوا مساجينهم قبل ان ينسحبوا من المدينتين ، وكان واثقا من أن الشيء نفسه سوف يحدث في باريس اذا اضطر الألمان الى التراجع عنها . ولذلك كان يود لو يستطيع اقناع السلطات الألمانية بالافراج عن المساجين السياسيين قبل أن يزداد الموقف حرجا .

ولم تكن مساعيه في هذا الصدد قد حققت أى تقدم حتى ذلك الوقت ولكن نوردلنج قرر الان أن يتصل بالقائد الجديد للمدينة . غير أنه كان يريد من يمهد له الطريق ، وكان واثقا من ان « بوبى » - لو استطاع العثور عليه - هو أفضل من يفعل ذلك له .

أما أميل بندر الملقب ببوبى ، فقد كان في تلك اللحظة يحزم آخر حقائبه في الشقة المصادرة التى يقيم فيها في رقم ٦ شارع « يولر » . بعد ساعات سوف يغادر باريس .

لقد تلقى أميرا من رئيسه الكولونيل - أى العقيد - فرايدريش جارتة مدير المخابرات العسكرية الألمانية في فرنسا ، بأن يكون في « سانت مونيه » قبل هبوط الليل . ولكن بندر كانت لديه مشروعات أخرى

كان في نيته أن يستغل تصريح المرور الخاص برجال المخابرات الذى يحمله للسفر بالسيارة الى سويسرا في نفس ذلك اليوم ، ليلتقى في زيوريخ بعشيقته ، ويعتبر أن الحرب قد انتهت بالنسبة له .

وكانت تلك النهاية ستكون حزينه بالنسبة لهذا الرجل ذى الخمسة والأربعين عاما الذى اشترك فى الحرب الأولى كطيار .

فتحت ستار انه يمثل احدى شركات بيع الورق السويسرية كان قد بدأ يطوف باريس فى خدمة المخابرات الألمانية منذ ١٨ يونيو سنة ١٩٤٠ .

وكان مكلفا فى بادىء الامر بأن ينغلغل فى الأوساط التجسارية الفرنسية ويقدم تقارير عنها .

ثم عهد اليه بعد ذلك بأن يبحث عن التحف الثمينة ويصدرها، لبيعها فى سويسرا بالعملات الصعبة التى كان جهاز المخابرات الألمانية يحتاج اليها لمواجهة طلبات أعمال التجسس الضخمة التى كان يقوم بها والتى كانت تشمل الدنيا بأسرها .

غير أن هذه لم تكن كل أنواع النشاط التى كان بندر يمارسها . . فمنذ عام ١٩٤١ كان قد أصبح عضوا رئيسيا فى شبكة سرية داخل جهاز المخابرات العسكرية الألمانية ، تعمل ضد النازية .

تلقى بندر محاكمة نوردلنج التليفونية قبل دقائق قليلة فقط من الموعد الذى كان ينوى فيه مغادرة الشقة . وكان القنصل السويدي قد توصل أخيرا الى الحصول على رقم تليفونه من ضابط آخر فى الجيش الألماني هو أريش بوش - باستور فون كامبرفلد . وهو تمساوى كان يعمل سرا مع حركة المقاومة السرية الفرنسية .

ورفض بندر أن يبقى فى باريس فى أول الأمر . .

ولكنه - أمام الإلحاح الشديد للقنصل السويدي - وافق فى النهاية على أن يؤجل رحيله « لبضعة أيام » يبذل خلالها كل جهد مستطاع للافراج عن المساجين . .

وقد برر بندر لنفسه موافقته على البقاء بأنه سوف يظل أمامه
رغم ذلك الوقت الكافي لاجتياز الحدود الى سويسرا •

غير أنه أخطأ التقدير خطأ جسيما في هذا الظن •• فبعد
أسبوعين سوف يصبح اسيرا لدى الفرنسيين •

ولكنه خلال هذين الأسبوعين ، سوف يعوض المدينة التي لم تكن
تعرف فيه الا رجلا محبا للملذات والسهرات الممتعة •• سوف
يعرضها الى حد كبير عن التحف التي نسلها في عجلة عنها من خزائنها
العامة بالكنوز •

بالنسبة للجنرال فالتر فارليمونت فان البقعة التى حولها ادولف هتلر الى مقر القيادة العليا فى قلب غابات راستنبورج ببروسيا الشرقية ، بدت دائما وكأنها مدينة أشباح .

انه يقف وحده الآن فى غرفة الاجتماعات فى ذلك المقر ، بينما يغلف السكون الكامل الغابات التى تحيط به .

لم تعد الذئاب والحيوانات الأخرى تعكر سكون ليالى راستنبورج بعوائها ، بعد أن دفعتها حقول الألغام وأحزمة الأسلاك الشائكة المكهربة التى تحيط بمقر القيادة العليا الى الفرار بعيدا عن ذلك المكان وقد حلت مجموعة جديدة من الأصوات فى مكان أصوات الحيوانات هى : أزيز أجهزة التهوية وتكييف الجو ، ونقر أجهزة استقبال وارسال البرقيات ، وقرقرة سماعات التليفونات وهى ترفع وتوضع بلا انقطاع على مدار الليل والنهار . . وكلها أصوات ترهق أعصاب فالتر فارليمونت وبقية المئات من الرجال الذين أصبحت حياتهم تدور حول الاجتماعين العسكريين اليوميين اللذين يعقدهما هتلر مع كبار رجال قيادته ، ويتخذ فيهما القرارات التى تحدد مجرى الحرب .

وكان هتلر يعقد اول هذين الاجتماعين اليوميين عند الظهر ويعقد الثانى فى المساء . .

وكان فارليمونت - مدير العمليات بهيئة القيادة العليا لهتلر - قد عاد مؤخراً من الرحلة التفتيشية التي قام بها الى جبهة نورماندى، وقد حضر الى غرفة الاجتماعات - كمادته دائماً بالنسبة لكل اجتماع - قبل نصف ساعة من موعد الاجتماع المسائي ، فقد كان هو المسئول عن التحضير لتلك الاجتماعات •

وكان فارليمونت يحمل تحت ذراعه اليسرى مجموعة من الاوراق ويحمل فى يده اليمنى الخرائط الملفوفة لهيئة أركان الحرب التي سوف يراجع عليها هتلر بعد بضع دقائق آخر تطورات الموقف •

فمنذ الثانى والعشرين من يوليو كان الجنرال فارليمونت قد كف عن حمل هذه الاوراق فى حقيبة يده الجلدية ، لأن كبريائه كان يمنعه من أن يخضع لعمليات التفتيش المهيمنة التي أصبح يقوم بها أعضاء حرس هتلر الخاص الواقفون بالبزة العسكرية الرمادية لفرق الصاعقة على باب المخبأ •

وفرد فارليمونت على مائدة الاجتماعات الخريطة الضخمة التي تبين الموقف العام ، والبطاقات التي رسمت عليها خرائط القطاعات المختلفة قطاعاً قطاعاً ، والتي حددت على أوراق السلولويد الشفافة التي تغطيها آخر التطورات فى الجبهات المختلفة وفقاً لحدث المعلومات وقد حدث فى هذا الاجتماع شيء ، لم يكن قد حدث قط من قبل فى أى من الاجتماعات السابقة التي حضرها فارليمونت •

ففى ذلك المساء ، ولأول مرة منذ ٢١ يونيو سنة ١٩٤١ ، أزاح هتلر خرائط الجبهة الشرقية التي وضعها « الجنرال - أوبرشت » يودل رئيس هيئة أركان الحرب أمامه ، وركز اهتمامه أولاً فى الموقف فى الغرب •

وبدا هتلر لأعوانه فى ذلك المساء كالوحش الهائج وهو يحدد لفترة طويلة فى الخرائط الممدودة أمامه . . ثم سحب من بينها واحدة وضعها على حدة .

فى منتصف تلك الخريطة كانت هناك كتلة سوداء كبيرة الحجم تغطى ثلاثة متعرجات عريضة لنهر السين . ومن تلك الكتلة كانت تخرج وتمتد كخيوط العنكبوت جميع الطرق المرسومة فى الخريطة . . كانت تلك الكتلة السوداء تتألف من باريس وضواحيها .

وأمسك هتلر بقلم فحم ، وأخذ يرسم به خطوطا حادة سريعة على الخريطة .

ثم قال وصوته يرتفع مع كل كلمة ينطقها :

— اذا أردنا الاحتفاظ بنهر السين يجب أن نحتفظ بباريس .
ولذلك فسوف نصمد أمام باريس وفى باريس نفسها . لن نتخلى عن باريس !

واستطرد قائلا للجنرالات الذين أحاطوا به : ان ضسياع باريس سوف يكون له تأثير مدمر على معنويات الجيش ، وعلى شعب ألمانيا ، وعلى العالم بأسره .

ثم شرع يصدر أول أوامره المباشرة بشأن الدفاع عن باريس ، بينما أخذ يودل يسجل بسرعة محموعة تلك الأوامر على ورقة أمامه .

قال الفوهرر أولا :

— أريد وضع الألغام تحت جميع كبارى السين الواقعة فى منطقة باريس بحيث يمكن نسفها فى أية لحظة .

ثم أضاف :

— ويجب أيضا شل جميع الصناعات فى المدينة :

وأخيرا قال يودل :

- ويجب تزويد قائد حامية المدينة بكافة الامدادات المتوفرة .

ومضى هتلر يقول بعد ذلك :

- ان باريس يجب أن يدافع عنها حتى آخر رجل . بصرف النظر
عن الدمار الذي قد يسببه القتال .

ثم صمت لحظة طويلة تساءل بعدها :

- وماذا يهمنا في أن تدمر باريس ؟!

واستطرد قائلا :

- ان الحلفاء في هذه اللحظة نفسها يدمرون مدنا في طول المانيا
وعرضها بقنابل طائراتهم .

كان يوم الأحد الثالث عشر من اغسٲطس بداية عطلة تمتد ثلاثة أيام فى باريس ، بمناسبة عيد صعود السيدة العذراء . وكان الجو حلوا فى صباح ذلك اليوم الى حد لا تعرفه الا باريس وخيالات الشعراء

وأخذ الباريسيون يستعدون منذ الصباح الباكر للاستمتاع بصفاء سماء ذلك اليوم وبشمسه المشرقة ، وخزجوا عشرات الآلاف الى الحدائق العامة والى ضفاف السين والى الضواحي ليلهوا ويمرحوا ، وقبل كل شئ لينسوا مخاطر معركة تحرير مدينٲهم التى بدأ موعدها يقترب .

وقرر عدد غير قليل من محتلى مدينٲهم الاشتراك معهم فى الاحتفال بيوم العطلة . وفى فندق « كريون » وضع الألمانى أوجين هومنز بعض الأطعمة فى لفة استعدادا لقضاء اليوم مع عشيقته الفرنسية على شاطئ « نوجان سور مارن » بالقرب من باريس ، كعادته كل يوم أحد .

وفى منزله الأنيق بشارع مانوتنسيون علق المريكز الفرنسى لويس دى فراكييه منظاره المكبر حول عنقه ، ووضع على صدره شارة حكم سباق الخيل الخضراء ، وارتدى قفازه الأبيض وقبعته الرمادية العالية وخرج ليركب العربية ذات اللونين الأحمر والأسود والعجلتين التى

يجرهما حصان واحد ، حيث كانت في انتظاره في الخارج . . لنذهب
به الى ميدان السباق في « أوتاي » .

ولكن لم يكن في باريس كلها من رحب بعطلة الأحد هذه ، مثل ذلك
الرجل المفرط في الطول الذي كان يرتدى لباس العمال الفرنسي الأزرق
القصير جدا عليه ، والذي وقف فوق كوبري « نانثير » يجيل بصره
في « السين » غربي العاصمة . فجأة وقع نظر ذلك الرجل الطويل على
بطارية مدافع ألمانية مضادة للطائرات فوق جزيرة « شاتو » فتسللت
الى عينيه نظرة حقد غاضبة ، لم يلحظها الا رفيقه النحيل والصبي الذي
كان يقف بينهما .

قبل ذلك بشهرين ، في الساعة الحادية عشرة والربع من مساء
يوم ٢٨ مايو ، كانت تلك البطارية نفسها قد اسقطت طائرة الملازم
الأمريكي الطيار بوب وودرام من سماء باريس . وقد خرج اليوم في
لباس العمال لأول مرة منذ أن التقطه أعضاء حركة المقاومة السرية
بعد سقوط طائرته ، وأخفوه .

وكان الرجل النحيل الذي يرافقه هو جزار ضاحية « نانثير »
الشجاع الذي يختبئ عنده ، ومعه ابنه ذو الأعوام السبعة .

واستدار الثلاثة وركبوا دراجاتهم ومضوا مبتعدين عن الكوبري .
فالجزار لويس برتي كان قد قرر أن يطوف بضيفه باريس في رحلة
سياحية بعد ظهر ذلك اليوم .

بدأ صباح ذلك الأحد هادئا لقائد منطقة باريس الجديد الى حد غادو
مع المدينة وحده في سيارته « الهورش » متجها الى مقر القائد انصام
للجيوش الألمانية في الغرب .

ولم تعكر صفو رحلته رصاصة واحدة من حركة المقاومة ، كما لم
تظهر طائرة واحدة للحلفاء في السماء . وكانت النغمة التشبازا

الوحيدة التي سمعها هي كلمات الرجل الذي جاء ليجتمع به ، الجنرال فيلدمارشال جونتير فون كلوجه القائد العام للجبهة الغربية .

ففي مخبئه المعتم تحت الأرض في « سان جرمان أن لي » القريبة جدا من العاصمة ، حدد كلوجه لشولتتر المهمة المنتظر منه أن يؤديها في باريس .

أنباء كلوجه بأن في نية هتلر وفي نيته هو ، الدفاع عن باريس . . وأضاف أن تحويل باريس الى مدينة مفتوحة أمر غير وارد . ثم استطرد قائلا :

- ان باريس سوف يدافع عنها . . وستولى أنت هذا الدفاع .
وأبلغه القائد العام أن تقارير مخابرات القيادة الألمانية في الجبهة الغربية تتنبأ بأن الحلفاء سوف يحاولون تجنب باريس وتخطيها . . وقال له أن عليه أن يجبر الحلفاء على خوض معركة في المدينة واستدراج مدرعاتهم الى هذه المعركة ، فبذلك تضعف قوة الحلفاء الضاربة ويتباطأ تقدمهم السريع في فرنسا .

وكان الهجوم الألماني المضاد في « مورتان » الذي كان كلوجه قد عارض فيه بشدة ، قد أوقع الجيش الألماني السابع في جيب « فاليز » الذي أوشك الآن أن يطبق عليه . . ولكن كلوجه كان لا يزال لديه القسم الأكبر من الفرق التسع عشرة التي يتألف منها الجيش الخامس عشر ، أكبر الجيوش الألمانية في فرنسا ، الذي كانت القيادة العليا الألمانية قد جمدته في « با - دي - كاليه » حتى أوائل أغسطس ، احتياطا لاية محاولة ثانية يقوم بها الحلفاء لفتح جبهة جديدة على الشواطئ الفرنسية . وقد وعد كلوجه مرعوسه بأن يزوده بالتعزيزات التي سوف تلزمه للدفاع عن باريس من قوات هذا الجيش ، عندما يحين الوقت الذي سوف يحتاج اليها فيه .

واتفق الرجلان على أن ثلاث فرق عسكرية تكفي للاستمرار في حرب شوارع مبددة لقوى العدو في المدينة ، لمدة ثلاثة اسابيع على الأقل . .

وطلب شولتتز أن ترسل اليه التعزيزات على الفور ، لكن كلوجه رفض ، وقال له أن الوضع في باريس لم يتخرج بعد الى الحد الذي يبرر ربط القوات فيها منذ الآن .

بعد أن انتهى الاجتماع الرسمي ، دعا كلوجه زائره الى تناول الغداء معه ، وبعد الغداء قال له :

— أخشى ياعزيزى فون شولتتز ان تتحول باريس الى مهمة غير لطيفة بالنسبة لك . ان الجو الذي يحيط بها يشبه جو المقابر !

فسكت شولتتز برهة قبل أن يرد عليه قائلاً :

— انها ستكون مقبرة من الدرجة الاولى ، على الأقل !

أحسن الملازم الطيار بوب وودرام بيد ابن لويس برتى تهندس في يده بينما ظل الضابط الالماني الواقف الى جواره يتأمل شعره الأشقر وعينيه الزرقاوين ووجهه الأمريكى المربع وقوامه المفرط فى الطول والمفرط فى الأمريكية أيضا . . فزاد بوب من تركيز نظره على اللوحة التى كان يقف أمامها فى المتحف البحرى . فلكى يمنع نفسه من ابداء أى انفعال أمام الالماني الذى كان يتفحصه ، لم يحول نظره عن تلك اللوحة منذ لاحظ اهتمامه به .

ودب الرعب فى قلب وودرام حين سمع الالماني يوجه اليه سؤالاً ، ولكنه رأى بطرف عينه ابن برتى الطفل يلتفت الى الالماني ويرفع رأسه نحوه قائلاً :

— ان ابى أخرس واصم !

من البرج العالى المخصص لحكم السباق فى « أوتاي » كان المركيز دى فراكييه يستعرض الجمهور المحتشد تحته من خلال منظاره . . . وفيجأة توترت اعصابه وانزل المنظار عن عينيه .

كان صوت مزعج قد انطلق لتوه ، ليفسد البهجة شبه الكاملة ليوم
المركيز ذاك . . . مثلما شوه جمال ذلك اليوم بالنسبة لكثيرين غيره من
الباريسيين .

لقد وصل الى أذنى المركيز - خافتا جدا وقادما من مسافة شاسعة
فى الاتجاه الجنوبى - الصدى البعيد لقصف المدافع . . . وهو أول
أول قصف سمع باريس هديره منذ يونيو سنة ١٩٤٠ .
كانت السيارة « الهورنس » تسير بسرعة كبيرة وهى تعود بالجنرال
فون شولتتز الى باريس ، فقد كان يريد الوصول الى مقره فى فندق
« ميريس » فى أقرب وقت . .

كان فى انتظاره هناك تقرير عن عملية دقيقة كان قد أصدر الأمر
بتنفيذها فى الصباح . . وكانت أولى عملياته فى باريس .

تلك العملية هى نزع سلاح قوة الشرطة فى باريس التى يبلغ عدد
أفرادها عشرين ألف رجل . فقد كان الجنرال فلد مارشال كلوجه قد
أمر بنزع سلاح جميع رجال الشرطة فى فرنسا فى « حركة مفاجئة »
تتم فى ذلك اليوم .

وقد بدأت العملية فى باريس - بناء على أوامر شولتتز - فى
مديرية شرطة ضاحية « سان دنيس » وهى ضاحية صناعية صعبة،
ثم أمتدت منها بأقصى سرعة الى سائر أنحاء المدينة .

عند وصوله الى مقره ، سلمه ياوره الكونت الشاب فون أرنيش
التقرير الذى كان فى لهفة الى الاطلاع عليه . كان التقرير يذكر أن
العملية قد تمت بدون وقوع أية حوادث وأنه تم الاستيلاء على مايزيد
على الخمسة آلاف قطعة سلاح .

شعر فون شولتتز بالسرور . ان الهدوء الذى وجدته يخيم على المدينة
ثم نجاح هذه العملية وعدم مواجهتها لاية مقاومة ، يبشران بالخير .
والآن أصبح فى وسعه ان يركز اهتمامه فى الورقة الثانية التى قدمها

اليه فون أرنييم • كانت بوقية تحمل صورة من نفس الأمر الذي كان الجنرال فلدمارشال كلوجه قد أصدره اليه شفويا قبل الغداء ، وهو « يجب الدفاع عن باريس بأي ثمن » •

كانت رمال الشاطئ الصغير في « نوجان سور مارن » قد بدأت تفقد الدفء الذي استمدته من حرارة شمس الظهيرة ، عندما قرر أوجين هومنز أن ينزل الى البحر مرة أخيرة قبل مغادرة الشاطئ • • فناول مسدسه وهو في داخل بيته الجلدي الى عشيقته أننيك ومضى يسبح حتى منتصف نهر المارن • وكان يعوم في كسل لذيفه على مياهه الباردة عندما سمع صرخات أننيك •

هنا ، على هذا الشاطئ النهرى الهادئ ، كان الفرنسيون قد انتقموا لتوهم انتقاما صغيرا مبدئيا لعملية نزع سلاح شرطة باريس • • اثنان من رجال حركة المقاومة سرقا مسدس أوجين هومنز •

لعن الرقيب الألماني فيرنر نيكس ، القائد الجديد لمنطقة باريس الكبرى . . لأنه بدلا من أن يدعه يستمتع بالذهاب الى دار سينما الجنود في ميدان كليشى مثلما كان يفعل بعد ظهر كل يوم اثنين ، جعله يخترق ميدان الأوبرا في سيارة مدرعة للمرة الثانية خلال ساعة واحدة . فقد كان نيكس مثل كل جندي الماني آخر موجود في باريس ، مشتركا في ذلك الوقت في عرض عسكري .

وكان شولتتز نفسه هو الذي أمر باجراء ذلك العرض ، ومنذ الظهر أخذت قواته تقطع شوارع باريس وهي بملابس الميدان في سيل مهيب من الدبابات والسيارات المدرعة وسيارات نقل الجنود .

ومن أجل تعزيز التأثير الذي كان يتوخى أحداثه من وراء العرض العسكري ، كان شولتتز قد أصدر أمره لقواته بأن تعود وتمر مرة ثانية من نفس الشوارع والميادين التي اجتازتها من قبل ، على أمل أن يوحى ذلك بأنها أقوى وأضخم مما هي في الحقيقة .

ولم يلاحظ الرقيب نيكس ولا أي من رفاقه ولا أي من الباريسيين الذين كانوا يشاهدون القوات الألمانية وهي تتدفق عبر

ميدان الأوبرا ، رجلا بدينا قصيرا فى بذلة رمادية كان واقفا عند ناصية الشارع أمام مقهى « كافيه دى لايبه » يتظاهر بقراءة جريدة كانت ثلاث فتيات يقفن بجوار هذا الرجل ويضحكن وهن يتطلعن الى الجنود الألمان ، فاحمر وجه الرجل غيظا . ولم يكن من المعقول الا يفتاظ ذلك الرجل لضحكهن المنطوى على السخرية ، فلم يكن ذلك الرجل الا الجنرال فون شولتتز نفسه الذى نزل بين الجمهور متنكرا فى ملابس مدنية ليتحسس شخصا تأثير العرض الذى نظمه والذى كان يستهدف من ورائه بث الرعب فى قلوب سكان باريس .

ولم تكن الفتيات الضاحكات وحدهن اللواتى كن يسخرن من العرض ، فقد كانت أماراب الاستهزاء واضحة فى وجوه جميع الفرنسيين الذين كان شولتتز يسترق النظر اليهم ، وكذلك فى ملاحظاتهم التى لم يكن يفهمها جيدا لجهله بالفرنسية . وان كان معناها واضحا تماما من ضحكات السخرية الى تثيرها .

ادرك شولتتز وهو واقف بن حشد من المارة أن عرضه قد فشل ، وأنه سوف يكون عليه أن يفعل ما هو أكثر من مجرد اظهار القوة ، لفرض الهدوء على باريس .



قاطع صوت الفوهرر الحاد المتعجل الجنرال - أوبرشت الفريد بودل فى اثناء تلاوته للتقرير اليومى عن الموقف فى الاجتماع الأول لهيئة القيادة العليا الألمانية يوم ١٤ أغسطس ، وأوقفه عن مواصلة القراءة . مرة أخرى كانت أفكار هتلر قد تحولت الى موضوع الدفاع عن باريس . التفت الى الجنرال بوهله مدير الأمدادات والتموين بالقيادة العليا وسأله :

- أين مدفع الهاون عيار ٦٠٠ ملليمتر الذى صنعناه من اجل الهجوم على برست - ليتوفسك وسباستوبول ؟

وأضاف أنه قرر إرسال ذلك المدفع الى فون شولتتز فى باريس .

فوجيء الجنرال بوهله تماما بهذا السؤال ، فتلفت نحو الجنرال فلدمارشال كايتل الذى تلفت بدوره نحو يودل الذى تلفت هو الآخر نحو فارليمونت . لم يكن لدى أى منهم أية فكرة عن مكان المدفع . بل أكثر من ذلك لم يكن فارليمونت يعرف شيئا عن وجود هذا المدفع أصلا .

غضب الفوهرر من صمتهم المخرج وأخذ يضرب مائدة الاجتماعات بقبضته ، ثم صاح فى بوهله قائلا ان عليه أن يبحث عن هذا المدفع ويبعث به الى باريس فورا . وطلب أن يقدم اليه تقرير مرتين يوميا يحدد تقدم المدفع فى طريقه الى باريس الى أن يصل اليها .

فكتب فارليمونت مذكرة ، ثم خرج على أطراف أصابعه هو وبوهله من قاعة الاجتماعات ، ليحاولا معرفة أين هو وما هو المدفع المجهول الذى يسأل عنه الفوهرر .

بعد ذلك بثمانى ساعات تلقى فارليمونت الاجابة على أسئلته .
كان قد تم العثور على المدفع فى أحد مستودعات الجيش ببرلين .

وكان ذلك المدفع الذى صمم خصيصا لحرب المدن ، قد استخدم فى برست - ليتوفسك وسباستوبول وستالينجراد . . وكان فون شولتتز نفسه قد استخدمه فى تمزيق استحکامات سباستوبول .

كان ذلك المدفع اقوى قطعة مدفعية مفردة صنعها الانسان فى عصر ما قبل الذرة . وقد أطلق عليه اسم « كارل » نسبة الى المهندس الذى وضع تصميمه الجنرال كارل بيكر . وكان يستطيع ان يقذف بقنبلة وزنها طنان ونصف طن وسمكها قدمان مسافة تزيد على الثلاثة أميال . وكانت تلك القذيفة الهائلة تستطيع ان

تخترق استحكامات الاسمنت المسلح التي يبلغ سمكها ثمانية أقدام . وكان عدد صغير من قذائف هذا المدفع ، يكفي لتحويل حى كامل الى حطام . ولا شك أن هذا المدفع يمكن أن يشكل بالنسبة لباريس التي بدأت تتملل ، تهديدا أكثر فعالية بكثير من العرض العسكرى الذى نظمته شولتير فيها فى ذلك اليوم .

فى الاجتماع الثانى للفوهرر بفواده فى ذلك اليوم ، أبلغ فارليموت الفوهرر أن المدفع « كارل » أصبح فى طريقه الى باريس فى عربة نقل مستقلة من عربات السكة الحديد . وقال أنه سيصل اليها بعد نمائة ايام .



فى أحد المطارات العسكرية بجنوب انجلترا ، كان الجنرال جاك سابار - دماس يحفظ عن ظهر قلب ما كتب فى ورقة بخط يده . وبجانبه حقيبة من الورق المقوى تحتوى على الثياب التى سوف بتنكر فيها فى طريق عودته الى باريس .

فقد رفضت القيادة العسكرية لفرنسا الحرة فى لندن أن توافق على اسقاطه بمظلة بالقرب من باريس على أساس أن ذلك ينطوى على أخطار جسيمة فى الليالى غير القمرية ، وقررت أن يسافر بالطائرة الى المنطقة التى حررها الحلفاء فى نورماندى . ثم يتسلل عبر خطوط القتال بمساعدة الأمريكين الى أن يصبح داخل أراضى فرنسا المحتلة ، ومن هناك يواصل رحلته الى باريس على دراجة مرتديا ملابس رياضية قديمة ، وحاملا مضرب تنس ودجاجة مذبوحة ليظهر بمظهر باريسى خرج الى الريف ليلعب التنس ويعود الى عائلته بدجاجة .

وكان شابان - دماس قد نجح فى الوصول الى مرعى البقر القريب من « ماسون » فى الوقت المناسب ، ولحق بالطائرة التى

أقلته الى لندن . . ولكنه فشل فى اقناع الحلفاء بتغيير خططهم الخاصة بباريس ، على الرغم من أنه دافع بكل ما يملك من حماسة وقوة اقناع عن آرائه أمام كل مسئول كبير استطاع ان يسمعه صوته . ومع ذلك فقد كان شابان - دلماس يحسن ان الرحلة السرية التى قام بها الى لندن لم تكن بلا فائدة ، فقد نبه خلالها ديجول وكبار رجال حكومته فى لندن والجزائر الى حقيقة الاوضاع فى باريس .

وكانت الأوامر التى يعود بها هى ان يظل يسعى من أجل منع قيام ثورة مسلحة فى باريس الى ان يصل الحلفاء الى ابوابها . وعندئذ يمكنه أن يوافق على اشتعال ثورة قصيرة لا تزيد مدتها على أربع وعشرين ساعة . . الهدف منها منح أهالى باريس شعورا بأنهم قد ساهموا على نحو ما فى تحرير أنفسهم .

كما أصبح شابان - دلماس مستعدا الآن لمواجهة الموقف فى حالة خروج الأمر من يده ، واصرار الشيوعيين على اشعال الثورة ، فقد كانت الورقة التى يحفظ عن ظهر قلب ما كتب عليها ، تحتوى على الخيوط العريضة لعدة خطط يمكنه أن يلجأ اليها للاحتفاظ بالسيطرة على باريس الى ان يصل الحلفاء اليها .

وكان آخر سطر على الورقة يتألف من خمس كلمات رمزية ، تحدد بدء تنفيذ عملية مستميتة خطيرة كان شابان - دلماس نفسه هو الذى وضع خطتها . وكانت تلك العملية جريئة ومشبعة بالآخطار الى حد أنه كان يرجو الا يضطر ابدا الى تنفيذها ، ويتمنى الا يسمع ابدا عبر الأثير من الاذاعة البريطانية الكلمات الخمس التى تعلن بدايتها .

أما تلك الكلمات التى حفظها شابان - دلماس قبل ان يصعد الى الطائرة التى ستعود به الى فرنسا ، فكانت :

« هل افطرت جيدا يا جاك ؟ »

فى غرفة خلفية فى أحد مقاهى باريس الصغيرة ، جلس رجلان على احدى الموائد يشربان زجاجة من النبيذ . كان احدهما هو « الكولونيل رول » الشيوعى الذى يقود حركة المقاومة السرية فى باريس وكان الآخر هو الزعيم الشيوعى لحركة المقاومة السرية فى قوة شرطة باريس . وكان قد حمل شرطة باريس على الاضراب عن العمل فى ذلك اليوم .

ولم يكن الرجلان قد تقابلا من قبل .

كان رول يريد معرفة شىء واحد منه هو : هل يضمن له امتثال قوة الشرطة لأوامره فى حالة قيام ثورة ؟

فقد كان رول يعرف ان الحلفاء سوف يصلون قريبا الى نهر السين عند « مانت » و « ميلان » فوق باريس وتحتها ، كما كان واثقا من ان الثورة التى كان المفروض فى شابان - دلماس ان يمنع قيامها ، لن يتأخر اندلاعها عن أيام وربما ساعات .

وكان يهمه ان تكون تحت تصرفه عند نشوب تلك الثورة ، قبل أية فئة أخرى ، قوة شرطة باريس التى تتألف من عشرين ألف رجل . وقد جاء الى ذلك المقهى الصغير ليتأكد من هذا الأمر .

توجهت السيدة الطويلة الوقورة مع اولادها الستة على دراجاتهم الى كنيسة قرية « وارلوس » الصغيرة فى مقاطعة بيكاردى ، لتزيين مذبحها بالزهور احتفالا بعيد صعود السيدة العذراء . وكانت تلك السيدة - ترينز دى هوتكلوك - تحس بولاء لخاص للسيدة مريم ، لانها قبل ذلك بأربع سنوات كانت قد عهدت اليها بحماية ورعاية أقرب الناس اليها . زوجها فيليب .

ففى الساعة السادسة من صباح الثالث من يوليو سنة ١٩٤٠ ء
كان فيليب قد غادر المنزل الريفى الذى كانوا قد فروا اليه ، لىبحث
فى اى مكان يمكن أن يجدها فيه عن أسلحة يواصل بها القتال
ضد غزاة فرنسا .

وكان اولادهما الستة لا يزالون نياما فى ذلك الصباح عندما
همس فيليب بأخر كلماته لزوجته قبل رحيله ، وهى : تشجعى
يا تريز ، فقد يطول فراقنا .

وقد ظلت تريز حوالى الأربع سنوات لا تعرف اذا كان زوجها
حيا أو ميتا . ثم سمعت فى احدى ليالى مارس سنة ١٩٤٤ من
الاذاعة البريطانية رسالة موجهة منه اليها فى برنامج الرسائل
الشخصية ، ولم تكن تلك الرسالة تحمل اسمه أو اسمها ، ولكنها
كانت تقول فقط أن فيليب المولود فى ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٠٢ ،
يبحث الى زوجته والى أحبابه الستة بتحياته الحارة .. فعرفت
أنه لا يزال على قيد الحياة .

وبينما كانت تريز تضع الزهور مع أولادها على مذبح الكنيسة
الصغيرة بعد ظهر ذلك اليوم ، يوم ١٥ أغسطس سنة ١٩٤٤ ، دوى
فى سكون الكنيسة صوت يناديها ويطلب منها أن تاتى بسرعة .
كانت صاحبة الصوت هى مدام دومون صاحبة حانة القرية التى
أمسكتها ووجرت بها الى حانتها عبر الساحة لتسمعها الصوت الذى
كان ينبعث من جهاز الراديو .

عندما سمعت تريز ذلك الصوت بكت لأول مرة منذ هزيمة
بلدها ، فقد كان صاحب الصوت هو زوجها فيليب دى هوتكلوك
الذى أصبح يعرف الآن باسم الجنرال جاك لكير . وكان قد غير
اسمه بعد أن انضم الى ديجول فى المنفى لىبعد اذى المحتلين
والمعاونين معهم عن أفراد أسرته .

وكان الجنرال لكبير يعلن لفرنسا عبر الأثير أنه قد عاد الى
ارض الوطن على رأس فرقة مدرعة فرنسية ليشارك في معركة
تحرير بلاده ، ويقول ان العلم المثلث الالوان سوف يرتفع فوق
باريس من جديد .

استيقظت ماري - هيلين ليفوشو ، زوجة بيير ليفوشو المعتقل
في سجن « فريسن » مذعورة على صوت التليفون وهو يدق في
الحاح في ظلام الليل . وعندما رفعت السماعة سمعت صوت
صديق من أعضاء حركة المقاومة السرية يقول لها :
- ان شيئا ما يجري في سجن « فريسن » .

سمع بيير ليفوشو في سكون ما قبل الفجر صوت عجلات العرب
التي تحمل القهوة تصطك بأرض السجن وهي تبدأ جولتها الأخيرة
في دهاليز سجن « فريسن » . وسمع أبواب الزنانات تفتح واحدا
بعد الآخر كلما توقفت العرب أمام أحدها . وقد توقفت العرب أمام
عدد هائل من الأبواب قبل أن تصل إلى باب زنزانتة وتتوقف عنده
.. وسمع بيير صليل مفاتيح السجن ورأى بابه يفتح ، فأدرك أن
ما كان يعيش في رعب منه منذ دخل السجن قد وقع أخيرا ، وأنه
سيعطى على الفور فنجان القهوة الذي يسبق ترحيله إلى المانيا حيث
معسكرات الاعتقال الرهيبة التي يقاسى فيها النزلاء الأهوال .

بالنسبة لملايين الباريسيين الذين كانوا لا يزالون نياما خارج
الجدران الرمادية الحجرية لسجن « فريسن » كان ذلك الفجر الذي
بدأت أنواره الأولى تبدد ظلام الليل هو بداية اليوم الأخير في عطلة
عيد صعود العذراء .. ولكنه كان بالنسبة لبيير ليفوشو ولألفين
وخمسمائة سجين آخر من نزلاء سجن « فريسن » وغيره ، بداية
لمسيرة الأم .

عند شروق الشمس كان جزء كبير من الاستعداد لعملية ترحيل
المساجين قد تم . أخذت النساء أولا من سجن « فريسن » ووضعن

فى سيارات اوتوبيس • ثم اخرج الالفان من الرجال المقرر ترحيلهم
من زنزانات السجن وعنابره بمجرد ان تحركت من امام بابه
الاوتوبيسات المقلّة للنساء •

الكابتن فيليب كوين نائب مدير المخابرات البريطانية السرية فى
باريس حمد الله على اختياره ضمن المرحلين ، لأن الترحيل يضع حدا
للتعذيب الفظيع الذى يلقاه من يوم لآخر على يد الجستابو ، ويجعله
يذهب اينما يريد الألمان نقله بضمير مستريح ، فهو لم يبح تحت
التعذيب بأى سر ولم ينكث العهد •

لويس ارمان انزل الى ساحة السجن ضمن المجموعة الأولى من
المساجين الذين تم اخراجهم من زنزاناتهم ، وكان سروره بالترحيل
كبيرا الى حد لم يستطع معه ان يخفيه • فقد كان هو أيضا بفضل أى
مصير على التعذيب الذى يلقاه على يد الجستابو وما قد يجر هذا
التعذيب الرهيب اليه •• ولكن فرحته لم تطل اذ سرعان ما نادى
احد الحراس اسمه ، واقتاده من جديد الى زنزانه بعد ان اتضح أن
الألمان قد شطبوا اسمه من قائمة المرحلين •

واحد من نزلاء السجن بدا له منظر الفرنسيين المكდسين فى
ساحة السجن تحت نافذة زنزانه ، اقصى منظر وقعت عليه عيناه
•• انه جندي الاشساره الألمانى فيلى فاجنيخت الذى قضى طوال مدة
وجوده فى باريس باستثناء يومين اثنين فى هذه الزنزانه تنفيذ
لحكم صدر عليه بالسجن ستة اشهر بسبب اعتدائه بالضرب على احد
الضباط فى مركز التليفونات بمقر القيادة الألمانية للجبهة الغربية •
انه فى ذهول امام ما يراه ، فهو لا يرى شيئا فى الوجود اكثر مجافاة
للمنطق من ان يرى جميع هؤلاء الفرنسيين يؤخذون الى المانيا ، بينما
يبقى هو - الألمانى - فى هذا السجن الفرنسى الكريه !

خارج السجن كانت مارى - هيلين ليفوشو تمسك فى عصبية
بيد دراجتها وهى تشاهد بوابة السجن وهى تفتح • فمنذ السادسة

صباحا وهى تقف على الرصيف فى البقعة التى ازاحها اليها رجال
فرق الصاعقة الالمان الذين يحرسون بوابة السجن تنتظر فى صمت
انفتاح تلك البوابة . وهى تحقق الآن فى المساجين واحدا واحدا وهم
يجرون انفسهم امام المدافع الرشاشية التى يحملها الحراس
ويصعدون الى الاوتوبيسات التى كانت فى الانتظار .

ثم وقع نظرها على زوجها ، فأفلتت منها صيحة خافتة مكتومة وهى
ترى وجهة الشاحب المعذب المكدود . ولكن فى نفس الوقت الذى
كانت تقول لنفسها فيه :

- يا الهى .. كم اصبح نحىلا ..

كانت تحس بفرحة جنونية لادراك انه حى ..

غير انها ما لبثت ان تذكرت ان زوجها يدير الذى اغتبطت لرؤيته
حيا ، يجرى ترحيله بعيدا الآن .. وظلت تتابع فى ألم ممض خطواته
الثقيلة ، الى ان صعد درجات الاوتوبيس . وخيل اليها انه هز لها
رأسه قبل ان يدخل السيارة فتمتمت : « لقد رآنى ، بصوت
مسموع ، واجهشت بالبكاء .

ثم رأت من خلال دموعها القسيس ستينير الذى تعرفه يقف بين
الجنود الالمان عند باب السيارة التى ركبها زوجها ، فجرت نحوه مارة
كالسهم برجال الصاعقة .. فقال لها القسيس فى صوت هامس :

**- احدى الله يا بنيتى على ترحيله .. فان مذبحة سوف تحدث
فى هذا السجن .**

وإدارت الاوتوبيسات محرقاتها وبدأت تسير .. فجرت مارى -
هيلين عائدة الى دراجتها وانطلقت بها بلا وعى وراء الاوتوبيسات .

فى المخبأ الذى تتخذ منه القيادة العليا للجيش الالماني فى الغرب مقرا لها ، انعقد اجتماع للقواد حضره ديتريتش فون شولتتز ، وجلس فيه دون أن يبدو على وجهه أى تعبير يستمع الى الجنرال جونتر بلومنتريت رئيس اركان حرب القيادة وهو يشرح اقتراحا وضعه بشأن تنفيذ « اسلوب الأرض المحروقة » تنفيذاً جزئياً فى باريس .

كان اقتراحه ينقسم الى جزئين : أولهما يقضى بتدمير منشآت الجاز والكهرباء والمياه فى المدينة تدميراً منظماً شاملاً . . وقد حث واضع الاقتراح رئيسه الجنرال فلدمارشال فون كلوج القائد العام للجيش الالماني فى الغرب على البدء فى تنفيذ هذا الجزء على الفور . . اما الجزء الثانى فقد تضمن خطة لتخريب مصانع باريس تخريباً محدوداً .

فقد كان الألمان يدركون انهم لا يملكون لا الوقت ولا العدد الكافى من الرجال لتحطيم جميع المصانع التى يضمها الحزام الصناعى الضخم الملتف حول باريس تحطيماً كاملاً . . ولذلك قصر بلومنتريت خطته على تدمير الآلات الرئيسية فى تلك المصانع بحيث لا تستطيع قوات الحلفاء المتقدمة الاستفادة منها عند وصولها الى باريس .

وقال بلومنتريت للمجتمعين ان ما يقترحه هو امر اساسى من الناحية الاستراتيجية ، فلو لم تحطم الصناعة فى باريس ، فان الحلفاء لابد ان يحولوها الى سلاح ضد المانيا خلال اسابيع

وأضاف ان تهيج الأهالى وشل المدينة من شأنها ان يساعد على ابطاء تقدم العدو ، لانهما سوف يجبران الحلفاء على تحويل جزء من مواردهم الحربية الى المدينة المنكوبة .

وبعد ان كرر بلومنتريت دعوته الى الشروع فى تنفيذ الجزء الأول من اقتراحه فورا ، قدم الى شولتتز قائمة بالمستودعات التابعة للبحرية الالمانية فى باريس التى فى امكانه ان يحصل منها على المتفجرات التى قد تلزمه لتعزيز ما يوجد منها لدى الجيش .

ثم ختم كلامه بقوله انه اذا لم يبدأ على الفور تنفيذ البرنامج الذى وضعه ، فان هناك خوفا من ألا يتسع الوقت لاتمامه قبل ان تصح باريس على مرمى مدفعية الحلفاء .

لم يندهش شولتتز لآى شىء مما ورد فى اقتراح بلومنتريت الذى وجده سليما تماما من الناحية العسكرية، لأنه كان قد تلقى فى اليوم السابق من القيادة العليا لهتلر أول الأوامر التى بعثت بها اليه فى باريس . وكانت تلك الأوامر تقضى اما بتدمير المؤسسات الصناعية فى باريس ، واما بشلها شللا تاما . وكان يعلم أن تلك الأوامر قدمرت بقيادة الجيوش الالمانية فى الغرب . ومنذ تلقى الدعوة لحضور هذا الاجتماع الصباحى المبكر ، لم يكن لديه شك فى انه قد دعى للاستماع الى توصيات بلومنتريت بشأن وسائل وضع اوامر هتلر موضع التنفيذ .

وعلاوة على انه لم يندهش لسماع مقترحات بلومنتريت ، فان شولتتز لم ير أية غرابة ايضا فى الأوامر التى تلقاها ، بل وجدها منطقية تماما . فهى على أية حال لا تعدو الاشارة بالتوسع فى تطبيق نفس النكتيات التى اتبعت فى الجبهة الشرقية .

وفى الوقت الذى كانت فيه قاذفات الحلفاء تلقى الحمم ليليا على المدن الألمانية ، لم يجد الرجال الملتفون حول مائدة الاجتماعات فى مقر قيادة فون كلوجه اى شيء غير معقول فى ان يطبق الأسلوب نفسه على باريس ، من الأرض .

غير أن شولتتز كان له اعتراض واحد على خطة بلومنتريت ، ينصب على توقيت تنفيذها .

فهو فى الوقت الحاضر يهيم أن يدافع عن باريس لا أن يدمرها . وقد أعلن رأيه هذا فى الاجتماع ، وقال أن الوقت المناسب للشروع فى تنفيذ خطة بلومنتريت هو عندما يبدأ الاستعداد للتخلي عن المدينة .

وأضاف أنه من الواضح أن هذا ليس فى النية لبعض الوقت . واستطرد شولتتز قائلا أن التسرع فى تنفيذ خطة بلومنتريت سوف يلقي بآلاف من عمال المصانع فى أحضان حركة المقاومة السرية ويجعل سكان المدينة فى حالة حرب علنية ضد قواته .

ثم صمت لحظة وأضاف ، مشيرا الى اقتراح بلومنتريت بقطع الكهرباء والجاز والمياه عن باريس فورا :

— كما أن الجنود الألمان أيضا ، يشربون الماء . . .

وكان المارشال فون كلوجه قد ظل يستمع الى مناقشة الرجلين دون أن يظهر أى تحيز لآراء أى منهما . . . ولكنه رفع يده عندئذ فجأة علامة على أن المناقشة قد استمرت بما فيه الكفاية .

ثم قال أن كلا من الجنرالين قد أثار نقطا هامة وأبدى وجهات نظر سديدة . وأضاف أنه سوف يصدر الأوامر النهائية فى هذا الموضوع فيما بعد .

وبهذا انتهى الاجتماع .

بعد ذلك بست وخمسين ساعة وبيّما يكون فون كلوجه فى طريق العودة الى المانيا بعد اعفائه من قيادته وتعيين واحد من أكثر مارشالات هتلر فاعلية ودموية بدلا منه . . سوف ينتحر فون كلوجه . .

ولكن قبل سفره سيكون قد أصدر أمر ، الى شولتتز بالبدء فى تنفيذ التدمير المنظم الذر اقترحه بلومنتريت ذلك الصباح

عندما وصل فون شولتتز الى مقره فى فندق « ميريس » بعد ذلك الاجتماع . كان هناك أربعة رجال فى انتظاره فى غرفة الانتظار الملحمة بمكتبه . . وعلى الأوامر التى جاءوا بها معهم من برلين « وجد شولتتز امضاء « الجنرال - أوبرشت » يودل »

كانوا أربعة من المهندسين ، ارسلتهم القيادة العليا اللمانية الى باريس « ليجهزوا ويشرفوا على تنفيذ عملية تدمير جميع المنشآت الصناعية الكبيرة فى منطقة باريس » . وقد احضروا معهم ادوات عملهم . .

فى غرفة الانتظار بمكتب شولتتز كان هناك اثنتا عشرة علبة مستديرة سوداء من علب الخراطى وكانت تلك العلب تحتوى على صور ورسومات تفصيلية لجميع المصانع ذات الشأن فى باريس وضواحيها . .

وأوضح كبير هؤلاء المهندسين لشولتتز أنه فى امكانهم - عن طريق وضع كميات معقولة من المتفجرات فى أماكن مختارة بعناية - أن يشلوا صناعات باريس لمدة ستة أشهر على الأقل . .

خصص لهم شولتتز جناحا فى الدور الرابع من فندقه ، وأمر بوضع سيارتين تحت تصرفهم لكى يتمكنوا من تفقد مصانع المدينة بأنفسهم .

وبعد ذلك بساعتين - عندما زارهم لأول مرة في جناحهم -
وجدهم غارقين في بحر من الخرائط والرسومات .
ووعده أحدهم بأن الحلفاء لن يجدوا مصنعا واحدا قابلا للتشغيل
في المدينة ، لو سقطت في أيديهم .

كانت شمس أغسطس تلسع الاسقف الحديدية لعربات نقل المواشي التي اصطفت في خط طويل متصل فوق القضبان بمحطة سكة حديد « بانتان » المخصصة لقطارات البضائع والتي تقع خلف حظائر المواشي الرئيسية بباريس مباشرة . وكانت بداخل تلك العربات شحنة البضائع البشرية التي اختارها رجال فرق الساعة لترحيلها الى المانيا . وكانت العربات مزدحمة الى حد أن كان ركابها يجاهدون لالتقاط أنفاسهم في ذلك الحر الشديد .

كانت زهرة أعضاء حركة المقاومة السرية الفرنسية - ٢١.٤ رجال و ٤٠٠ امرأة - تنتظر في بؤس تحرك القطار .

كانت إحدى العربات تحمل ٩٢ امرأة ، وكانت نافذتها الوحيدة المغطاة بالاسلاك الشائكة أعلى من أن تتيح لأطول امرأة نظرة الى الخارج وأخذت النساء واحدة تلو الأخرى يخلعن ثيابهن حتى لم يبق عليهن غير ملابسهن الداخلية ، ومع ذلك كان الحر خانقا والتنفس صعبا وقد أخلت النسوة بقعة صغيرة في إحدى زوايا العسيرة - بجانب الجردل الذي قام بدور المرحاض - اتفقن على أن تتبادل كل ثلاث منهن الجلوس القرفصاء فيها ليحصلن دوريا على بعض الراحة . . . بينما تظل الباقيات واقفات يتصببن عرقا وهن ملتصقات الواحدة بالأخرى .

العربة التالية كانت أقل ازدحاما فاستطاع راكباتها أن يجلسن القرفصاء جميعا وركبهن ملتصقة باكتافهن وذراع كل منهن في ذراع جارتها بحيث تشكلن منهن سلسلة بشرية ولكنهن مالبثن أن أغمى عليهن واحدة تلو الاخرى • وقبل ان يمضى وقت طويل سوف تكون ست منهن قد توفين •

عربات الرجال كانت أكثر سوءا • كانت كل واحدة منها تقل مائة رجل على الأقل ، وقد تعلموا جميعا حتى خصورهم وتركزت آمالهم اليائسة فى شيء واحد هو أن تبدأ مسيرة ذلك القطار الذى كانوا قبل ذلك يتمنون أن يفوتهم •

بيير ليفوشو كان يقف فى إحدى هذه العربات وهو مصاب بالدوار من جراء الجوع والعطش والحر ، وكان يصلى من أجل تحرك القطار بينما استبد العطش بالرجل الذى كان يقف وراءه الى حد جعله يلحق بلسانه المحترق سيل العرق الذى كان يسيل على ظهره !

خرج من محطة « بانثان » ودخل مقهى قريبا منها ، رجل هدل الحزن كتفيه العريضتين وطأطأت خيبة الأمل رأسه •

كان ذلك الرجل هو أميل بندر الملقب باسم « بوبى » ضابط المخابرات العسكرية الألمانية الذى كان عضوا فى الوقت نفسه فى شبكة سرية تعمل ضد الحكم النازى •

وكان قد حاول منع سفر القطار عن طريق « بلف » قائد رجال الصاعقة المرافقين للمساجين المرحلين ، وعمل على ايهامه بأنه ينقل اليه أوامر صادرة من جهات عالية •• ولكن لعبته لم تنجح •

وكان هو ونوردلنج قنصل السويد العام فى باريس قد بذلا جهودا مستميتة منذ أن توصل القنصل السويدي الى الاتصال به ، من أجل وضع المساجين السياسيين فى منطقة باريس تحت اشراف الصليب الأحمر •• ولكن جهودهما لم تؤد الى أية نتيجة •

قابل نوردلنج بيير لافال رئيس حكومة فيشى الفرنسية ، وأوتو أبيتز سفير المانيا ، وكارل أوبرج رئيس الجستابو فى فرنسا ، وعرض

هذه الفكرة عليهم وحاول اقناعهم بالموافقة عليها . . ولكن أحدا منهم لم يبد أى اهتمام .

أما شولتتزر فقد حالت مشاغله دون استقبال نوردلنج وبوبى .
كان هناك رجال آخرون يحاولون أيضا فى ذلك الصباح منع ذلك
القطار الذى يجر عربات نقل المواشى من السفر ، ولكن أسلوبهم فى
العمل كان مختلفا . .

بينما كان المساجين يكادون يختنقون فى عرباتهم التى جعلتها
الشمس أشبه بالأفران ، كان هناك صبي يندفع على دراجته بأقصى
سرعة خارجا من باريس ومتجها الى قرية « نانتي ساسى » الصغيرة .
كان يحمل رسالة شفوية عاجلة من حركة المقاومة السرية فى باريس
الى قائد شبكة المقاومة فى القرية ، وكانت الرسالة التى يحملها
واضحة وقصيرة .

كان نصها هو : « يجب بأية طريقة وبأى ثمن قطع الخط
الحديدى الرئيسى فيما بين باريس ونايسى » .

وكان ذلك الخط هو الذى لابد أن يمر عليه القطار الواقف فى
محطة « بانتان » لكى يصل الى ألمانيا .

ومن جهاز ارسال لاسلكى مخبأ فى غرفة صغيرة على مسطوح
أحدى العمارات الباريسية ، انطلقت رسالة لاسلكية عند الظهر
الى لندن . وكان نص تلك الرسالة هو :

« للابلاغ العاجل الى جميع قادة حركة المقاومة السرية داخل
فرنسا - الالمان نظموا ترحيل المعتقلين فى سجون باريس وخاصة
سجن فريسن بالسكة الحديد عن طريق ميتر - نانسى . نخشى
مذبحة عامة خلال الرحلة . . اتخذوا جميع الاجراءات الممكنة لتخريب
الرحلة » .



أصدر الهاوبتمان - أى النقيب « فيرنر أبرناخ » أمره الى سائق
سيارته بالتوقف عند منتصف كوبرى « نيبى » عند الطرف الغربى
لباريس ، وأشار الى رجال سرية المهندسين الذين كانوا يتبعونه
بالتوقف أيضا . ثم نزل من السيارة واتجه الى سور الكوبرى وأخذ
يتطلع الى مياه نهر السين تحته . بعد ذلك اخرج خريطة من جيبه
وفرشها على السور ، وأخذ يعد الكبارى التى تتضمنها ، فوجدها
خمسة وأربعين كوبريا .

تلك الكبارى الخمسة والأربعون كانت هى الشرايين التى تربط
باريس ببعضها ، وبدونها تعود الحلقات التى يدور فيها السين فى
أثناء اختراقه لباريس الى ماكانت عليه منذ ألفى سنة عند تأسيس
العاصمة الفرنسية فوق احدى جزر النهر - تعود فتصبح حواجز
هائلة

كان أبرناخ يحمل فى جيب صدره تحت وسام الصليب الحديدى
الذى فاز به ورقة زرقاء سوف يسلمها بعد دقائق الى الجنرال فون
شولتتز . وهى تحمل أمضاء « الجنرال - أوبرشت » بودل رئيس
هيئة أركان الحرب الالمانية ، وتتضمن أمرا عاجلا بتدمير الكبارى
الخمسة والأربعين التى تغطى نهر السين فى باريس .

ولم يكن ابرناخ يعرف لماذا يريد هتلر تدمير هذه الكبارى ولا كان يهمله أن يعرف . فهو رجل دقيق وبارع فى اختصاصه ، وكل ما يهمله هو أن ينجح دائما فى عمله .

وكان واثقا وهو يقف على كوبرى « نيبى » وينظر من فوقه الى كوبرى « بوتو » أمامه وكوبرى « البجات » وراءه ، الذى يقطع النهر فى قفزين اذ يتوقف فى احدى الجزر الصغيرة فى منتصف النهر . . كان واثقا من أن كبارى باريس لن تواجهه بأية مشاكل جديدة عليه ، وأن نسفها لن يكون أصعب من نسف عشرات الكبارى التى سبق له أن دمرها فى روسيا وغيرها .

وبعد دقائق سوف يقول لقائد منطقة باريس أنه بعد أن يفرغ من عمله وتهوى جميع كبارى باريس فى النهر . . فان السين سوف يصبح مسدودا من اقصى باريس الى اقصاها .

قبل أن يعود الى سيارته . تفقد ابرناخ أسس كوبرى « نيبى » ومعه رئيس قسم المتفجرات فى سريته . ومن شاطئ النهر أخذ يدقق النظر فى القاعدة الرئيسية للكوبرى فوقه مستعينا بنور مصباحه الكهربائى .

وأخيرا عثر على ما كان يبحث عنه .

كان مربوطا بقاعدة الكوبرى جهاز لوضع الألغام علاه الصدا ، كان ابرناخ يأمل فى أن يجده . فمِنذ أكثر من سبعين سنة ، كانت الحكومة الفرنسية قد أصدرت قانونا يحتم ربط هذه الأجهزة بجميع كبارى فرنسا ، لكى يتسنى نسف الكبارى بسرعة فى حالات الطوارئ .

كانت الشمس تتسلل من خلال أشجار حرش البلوط . . ولأول مرة منذ أشهر ، سمع الجنرال جاك شابان - دلماس صوت سقسقة العصافير . . على بعد ميلين وراء هذا الحرش الصغير ، تقع قرية « كونريه » وعلى بعد مائة ميل أمامه تقع باريس .

كان اثنان من الضباط الأمريكيين قد اصطحباه الى هذه البقعة
التي تقع عند أقصى حد وصل اليه تقدم جيوش الحلفاء في فرنسا
.. وهناك سلماه حقيبته المصنوعة من الورق المقوى . بجانبه كان
مناك دراجة مذبوحة وقطعة زبدة والدراجة التي سوف يركبها عائدا
الى باريس ، وقد ربطت بيدها زهرة قرنيبط .
أخرج شابان - دماس من الحقيبة ملابس لعب التنس القديمة
المقرر أن يستكر فيها ، وأخذ يرتديها .
بعد أن فرغ من ذلك ، طوى بزته العسكرية التي لبسها لمدة اربعة
أيام فقط ، ووضعها في الحقيبة .
قبل أن يمضي ، استوقفه احد الامريكيين وطلب منه في تردد
وخجل أن يعطيه أى تذكارات للدقائق القليلة التي قضاها في صحبته
وأضاف فيما يشبه الاعتذار محاولا أن يبرر طلبه :
- انك اول « جنرال » فرنسي نقابله ، كما انك سوف تدخل
باريس راكبا دراجة قبل أن تصل اليها دباباتنا .
فتوقف شابان - دماس ، وبأصابع اعترتها رعشة طفيفة انتزع
النجمتين المثبتتين على كتفى سترته العسكرية ، وأعطى كلا من
الضابطين الأمريكيين اللذين جاءا به الى هذا الحرش الصغير ،
واحدة منهما .
ثم صافحهما ، وركب دراجته ، ومضى في الطريق الريفي غير
المعبد المتجه نحو باريس .



لم يفاجأ الجنرال ديتريش فون شولتز بالأمر الذي حملة اليه
الهاوبتمان فيرنر ابرناخ ، اذ كان قد تلقى نسخة منه من القيادة
العليا الألمانية مباشرة . ولكنه فوجئ برؤية ابرناخ في مكتبه .
لقد كان يعرف هذا الضابط الشاب قبل الحرب ، وكان قد أتيح
له أن يشهد في بلدة « جيما » بألمانيا مهارته في القيام بنفس
الاعمال التي أوفد الى باريس من أجل تنفيذها

هناك ، خلال مناورات عسكرية جرت في سنة ١٩٣٦ ، كان أبرناخ قد نسف كوبريين على نهر « مولده » أمامه ، وأثار إعجابه . وأكدت له نظرة التصميم الناضج التي أصبحت تشع من عيني أبرناخ أنه قد حقق النجاح الذي كان يبشر به في صباه . .

لم يكن لدى الجنرال فون شولتتز أى شك في أن أبرناخ قادر على خنق السين فعلا بحطام كبارى باريس ، كما قال له ولكن شولتتز كان مصمما على أن يحتفظ لنفسه بالسيطرة التامة على هذه العملية . قال لأبرناخ : امض قدما في كل استعداداتك . . ولكنه أضاف أنه لا يريد أن تتم أية عملية نسف في باريس إلا بعد أن يوافق هو شخصيا عليها . .

ثم قال للنقيب النشيط المتحمس الواقف أمامه :

— ان السين يا أبرناخ ليس « المولده » وباريس ليست « جيما » . ان العالم بأسره يسلط أنظاره علينا هنا ، وليس فقط حفنة من الجنرالات .

لم تكن قد مضت غير دقائق قليلة على خروج أبرناخ من مكتب فون شولتتز ، عندما دخل عليه الأوبرشت — أى العقيد — فرايدريش فون أونجر رئيس أركان حربه حاملا اليه تقريرين .

كاد الجنرال أن يتجاهل التقرير الأول الذي كان بخصوص اضراب شرطة باريس ، ولكن التقرير الثانى أثار قلقه .

ان ثمانية جنود المان قد قتلوا عند مرورهم بكمين كان قد أعد في ضاحية تدعى « أوبرفييه » . وهذا أول حادث خطير من نوعه تشهده المدينة . .

سار فون شولتتز نحو الخريطة الضخمة للمدينة المعلقة على حائط مكتبه ، وهو يحمل التقرير في يده . وظلت أصابعه تنزلق فوقها الى أن عثر على موقع « أوبرفييه » . ثم تنهد وتمتم بصوت خفيض :

• انهم اليوم فى الضواحي • • وغدا سوف يكونون فى باريس •

أخيرا تحرك القطار من محطة « بانتان » فتنفس الصعداء الالفان
والخمسمائة سجين الذين كانت تفص بهم عرباته الخشبية ذات
الأسقف الحديدية •

من وراء العوارض الخشبية لاحدى عرباته ، ارتفع صوت غناء •
كان حافتا فى أول الأمر • • ثم أخذت بقية العربات واحدة بعد الأخرى
تشارك فى الانشاد ، الى أن تحول الصوت الذى بدأ خافتا الى هدير
قوى ينبض بالتحدى ويملا جنبات المحطة المعتمة •

كانت انغام « المارسيليز » - النشيد الوطنى الفرنسى - الطافحة
بالعنفوان هى التى تنبعث من أفواه ركاب عربات المواشى •

وخارج المحطة كانت عقارب الساعة الكبيرة التى تعلو بابها
تشير الى أن منتصف الليل على وشك الحلول •

توجه احد عمال السكة الحديد الى السيدة التى كانت تقف وحيدة
بجوار دراجتها وقال فى صوت يخنقه التأثر بينما عيناه تدمعان •

• لقد انتهى الأمر • • انهم رحلوا • •

فركبت ماري - هيلين ليفوشو دراجتها وتوجهت الى بيتها ، وهناك
ضبطت المنبه على الساعة الثالثة ثم التمت بنفسها فى السرير • •

من غير أن تعرف لماذا ولا كيف ، كانت مصممة على أن تتابع قطار
زوجها السجن الى أبعد ما تستطيع •



أخرج الرقيب هرمان بلومفرانك آخر محتويات أدراج دولابه فى الحقيبتين المصنوعتين من الورق المقوى الموضوعتين فوق سريره ، ثم أغلق الحقيبتين بتحزيمهما بحبل . فى احدى الحقيبتين وضع بلومفرانك « العملة الصعبة » التى قرر أخذها معه احتياطا للأيام القادمة التى كان يخشى أن تكون أياما قاسية ، وكانت تلك « العملة الصعبة » تتمثل فى خمسين زوجا من الجوارب الحريرية . !

ونزل الرقيب بعد ذلك الى ردهة فندق الكونتنتال هذا ، الذى قضى فيه أربعة أعوام ، وقال لموظف الاستقبال بالفندق انه : « سوف يعود قبل عيد الميلاد » ثم غادر الفندق وهو يحمل حقيبتيه .

ومثلما ظل يفعل يوميا طوال مدة الأربعة الأعوام السعيدة التى عاشها فى باريس كأحد جنود الاحتلال ، توقف بلومفرانك أمام كشك بيع الجرائد الواقع أمام مكتبه بوزارة المالية ، وطلب من البائعة صليطة اللسان نسخة من « باريزر تسائتونج » الجريدة الألمانية التى تصدر فى المدينة .

ردت عليه البائعة

— أيها الألماني الصغير .. لا توجد جريدة !

فقد كان عدد اليوم السابق من الجريدة وهو عددها رقم ٢٢١ هو آخر ما صدر منها . وكانت هيئة تحرير الجريدة قد غادرت باريس الى بروكسل في الليلة الماضية .

رفع بلومفرانك حقيبتيه من جديد .. وبينما كان يفعل ذلك، لاحظ أن السيدة القصيرة الممتلئة الجسم ذات الشعر الرمادي المتجعد التي كثيرا ما صادفها وهي تشتري جرائدها الصباحية من هذا الكشك .. واقفة بجانبه تنظر اليه وتبتسم . كان يعرف أن اسمها « كوليت » وأنها كاتبة .

سألته وهي لا تزال تبتسم :

— اذن قد نويت أن تهجرنا ؟ ..

والواقع ان بلومفرانك كان ينوى حقيقة هجر باريس في ذلك اليوم السادس عشر من أغسطس ، مثل آلاف آخرين من الجنود الألمان غير المحاربين .

ففي اليوم السابق كانت القيادة الألمانية العليا قد ابلغت قيادة الجبهة الغربية ان هتلر صرح لرجال الجستابو وسائر تشكيلات البوليس السرى وبقية من يؤدون أعمالا ادارية بإخلاء باريس وتركها للقوات المحاربة ..

وكان سيل سيارات النقل التي استقلوها والذي أخذ يتدفق في الاتجاه الشرقى ذلك الصباح ، يسبب أول ازدحام في حركة المرور تعرفه باريس منذ بداية الحرب .

وكان الباريسيون بتفرجون من مقاهي الأرصفة على الافواج الاولى من محتليهم وهي ترحل . دون ان يظهر على وجوههم أى تعبير ، وكان بعض الراحلين يصرخ قائلًا : « سوف نعود لنقضى عيد الميلاد هنا » . وبعضهم يغنى أغنية « لن نقول وداعا بل الى اللقاء » بينما سياراتهم تمر أمام المقاهي المزدهمة . . وكانت بعض مجندات الجيش الالماني - أو « الفئران الرمادية » كما كان الباريسيون يسمونهن بسبب قبح شكلهن فى الملابس العسكرية - كان بعض أولئك المجندات يبكين ويلوحن بمناديلهن . .

ولكن اعجب المناظر كان منظر الأسلاب التى كانت خارجة مع المحتلين الراحلين . .

كانت تلك الأسلاب تملأ سيارات نقل بأكملها . .

أحواض استحمام ومراحيض وقطع سجاد وقطع أثاث وأجهزة راديو وصناديق لا نهاية لها معبأة بزجاجات الخمر ، كانت ضمن الحاجيات التى تخرج مع الألمان أمام عيون أهل باريس الغاضبة فى ذلك الصباح .

وفى ميدان لامارتين كانت مجموعة من جنود الإشارة الألمان تضع فى سياراتها القطيع الصغير من الخنازير التى كانوا يربونها فى حدبقتهم ، أمام خيبة أمل جيرانهم العارمة !

ورأى ضابط النقل فالتر نولنج احد زملائه الضباط الذين كانوا يقيمون معه فى فندق ماجستيك ينزع الستائر المعلقة على نوافذ غرفته ويدسها فى حقيبته . وقد برر عمله لنولنج بقوله أنه ينوى تحويل تلك الستائر الى ثوب فيما بعد !

وفى فندق فلوريدا شاهد العريف أرفين هيسى رئيسه الملازم الأول جيرتيج يلف أغطية سريره بحبل التليفون ، ثم يعود ويضع جهاز التليفون نفسه بداخل اللفة !

ولكن بعض الألمان تصرفوا تصرف السادة المهذبين عند رحيلهم .
فقد ترك أحد كبار ضباط فرق القمصان السوداء في المنزل الذي كان
يحتله بشارع فكتور هوجو في حي « نيمي » رسالة الى « مضيفه
المجهول » صاحب المنزل الأصلي ، يشكره فيها على ما أبداه نحوه
من حفاوة . . وذكر في رسالته انه يترك المنزل كما وجدته
وأنه دفع حساب الجاز والكهرباء وسدد اشتراك التليفون ودفع
« بقشيشا » للبواب أيضا ! . . وأضاف أنه قد أعجب بمؤلفات فولتير
التي وجدها في المنزل والتي أعادها الى مكانها . . كما ترك ورقة
مالية مع الرسالة « تعويضا عن الكاسين من الكريستال اللذين
كسرا لسوء الحظ » في أثناء إقامته !

وكانت لحظة الرحيل تشكل أزمة نفسية عنيفة بالنسبة لبعض
الالمان .

الكابتن هانز فيرنر العامل بمركز التموين بشارع لايبروز ، وجد
أنه أصبح يتحتم عليه أن يختار بين الجيش الألماني وبين عشيقته
انتوانيت شاربونييه . . فاختار انتوانيت . وعند ظهر ذلك اليوم
ترك الشقة التي كانا يقيمان فيها معا في شارع موزار وهو في ثياب
مدنية ومعه حقيبة صغيرة ، وتوجه الى الفندق المتواضع بشارع هنري
روشفور الذي أعدت له فيه انتوانيت مخبأ . فقد كان ذلك البطل
الفاتح للسابق قد اتفق مع صديقه على أن يختبئ هناك « الى أن تعود
الظروف الطبيعية » ويتزوجا .

أما أوجين هومنز الضابط الذي كان رجال المقاومة قد سرقوا
مسدسه منذ ثلاثة أيام ، فقد فضل الواجب على عشيقته أننيك . فعدا
أي اعتبار آخر كان هومنز لا يحب « أن يضع نفسه تحت رحمة امرأة
غبورة » .

وبالنسبة لبعض الالمان الآخرين الذين كان من المقرر ان يرحلوا
في ذلك اليوم ، كان الحظ هو الذي حدد مصيرهم وليست العواطف
أو الوطنية

السكرتيرة ماريا فوهز تذكرت أنها تركت ساعتها فى احد محال
تصليح الساعات بشارع هاوسمان ، فذهبت لاستردادها . . قال لها
« الساعاتى » عندما رآها « ألم تذهبنى بعد ؟ يجب أن تهربى بأقصى
سرعة » . . ولكن فرصة الهرب كانت قد أفلتت من ماريا . وكلفتها
ساعتها المعطلة مقعدها فى القافلة الراحلة . وبدلاً من أن ترحل
اضطرت الى البقاء مع الآلاف من الجنود المحاربين الذين يستعدون
للدفاع عن باريس



مثل سائر سكان ضاحية « سان كلو » كانت المدرسة تبرير
جاربون تعرف ان نفق مرور السيارات الذى يقود الى الطريق
الرئيسى ويمر تحت منزلها الحجرى الصغير ، معبأ بالمتفجرات وهى
الآن فى حالة ذعر قاتل ، فقد تلقت خبراً مرعباً من السيدة التى تنظف
لها البيت والتى لا تخطئ الاخبار التى تنقلها أبداً .

لقد انبأتها تلك السيدة بأن الالمان يستعدون لنسف النفق . .
ولو فعلوا ذلك فان منزلها الصغير الذى تطلق عليه اسم «مون ريف»
- أى حلمى - ومئات المنازل الأخرى القائمة على سفح هذا التل الذى
تتألف منه الضاحية ، سوف تدمر معه .

وفعلت تبريز الشئ الوحيد الممكن . اخرجت جميع قطع الصينى
والخزف والزجاج التى لديها ولفتها فى أوراق جرائد وخبأتها تحت
السريр ، ثم أنامت الدولاب على الأرض وفتحت جميع النوافذ وهربت .
والواقع أن ذلك النفق الذى اطلق عليه الالمان اسم الشفرة «بيلتز»
- أى عش الغرباب - كان مصنعاً للتوربيدات ، وحتى نهاية سنة
١٩٤٣ ، كان يزود أسطول الغواصات الألمانية العامل فى المحيط
الأطلسي بمعظم قذائفه . وعلى الرغم من ازدياد خسائر الألمان فى
الغواصات وفتور حدة الحرب البحرية تبعاً لذلك ، فقد استمر
« بيلتز » ينتج التوربيدات بنفس معدله السابق ، ويكدها فى عدد
لا حصر له من الكهوف المجاورة لمساكن عماله المزدحمة .

وكانت هناك طريقة واحدة لتدميره هي نسفه من الداخل . وكان
هذ بالضبط هو ما كان حراسه الألمان من جنود البحرية يستعدون
لفعله عندما جاءهم النقيب فيرنر ابرناخ خبير التدمير . وكان ابرناخ
قد توجه الى « بيلتز » ليرى ما اذا كان يستطيع أن يجد فيه
المتفجرات التى تلزمه لتنفيذ المهمة التى أوفد من أجلها الى باريس .

وقد ذهل ابرناخ فعلا رآه فى كهوف « بيلتز » المضاءة جيدا، اذ
كانت هناك مئات خلف مئات من التوربيدات المعبأة بالمتفجرات التى
لا ينقصها شئ سوى أن تتركب بها أجهزة التفجير التى كانت مكدسة
بكثرة أيضا بجوارها .

قال ابرناخ لمساعدته فى نبرات ملؤها الاعجاب :

— يا الهى .. اننا نستطيع نسف نصف كبرى العالم
وجسوره بهذه المتفجرات !

ثم التفت ابرناخ الى ضابط البحرية الذى كان يقوده داخل
النفق ، وقال له فى صوت رسمى جاف :

— انى اصادر كل المواد الموجودة فى هذا النفق باسم قائد
منطقة باريس .



على بعد مئات قليلة من الياردات من مدخل النفق ، صعدت
السيارة « الهورش » السوداء المخصصة لقائد منطقة باريس
الكبرى أحد الشوارع الجانبية ، وتوقفت أمام فيلا انيقة مقامة
فوق مرتفع بشارع « بوزو دى بورجو » . هناك كان فى انتظار
الجنرال فون شولتتز أهم مساعديه ، العقيد هوبرتوس فون
أولوك ، الرجل المسئول عن الدفاع عن مداخل باريس .

وفي غرفة المكتب الفخمة التي كسيت جدرانها بخشب البلوط وقف الرجلان في ذلك الصباح يضعان الخطوط العريضة لخطط الدفاع عن باريس .

أمسك فون شولتتز بقلمه وحدد خطا على الخريطة الضخمة التي فرشت فوق البيانو الفاخر الموجود بالغرفة ، وبعد أن فرغ من ذلك ، التفت الى فون أولوك وقال له :

- هذا هو المكان الذي ستقف فيه .

نظر فون أولوك الى الخريطة واندھش لاكتشاف أن الخط الذي رسمه شولتتز يمتد على طول ستين ميلا في قوس متقدم كثيرا عن الخط الذي كان قد اقترحه سلفه الجنرال فون بوينبرج - لنجسفلد .

وكان فون شولتتز يعلم ان فون أولوك لا يستطيع الصمود في ذلك الخط الا اذا زود بتعزيزات كبيرة .. ولكن هذا الامر لم يكن يقلقه ، فقد تلقى وعودا بأن يحصل على ما يلزمه من تعزيزات . والى أن تصل الامدادات المنتظرة فان فون أولوك يستطيع بالعشرة الاف جندي الموضوعين تحت قيادته أن ينشئ حاجزا امام مدخل المدينة .

كما وافق شولتتز على اقتراح تقدم به العقيد فريتز مايزي قائد لواء المظلات الحادي عشر ، يقضى بتعزيز قوات فون أولوك بجميع المدافع المضادة للطائرات الموجودة في باريس حاليا ، والتي يمكن استخدامها كمدافع مضادة للدبابات .. فلم يكن القائد الالماني ولا رجال هيئة أركان حربه يخشون الفـارات الجوية ، لأنهم كانوا مقتنعين بأن طائرات الحلفاء لا يمكن أن تضرب باريس .



تحت أشعة الشمس الآخذة فى الارتفاع ، بدت أبراج كاتدرائية
سانت اتيين فى مدينة « مو » على نهر المارن ، حمراء اللون
لمارى - هيلين ليفوشو ، وهى تتجه نحوها فوق دراجتها •
وكانت قد مضت عليها ساعتان قطعت خلالهما ستة وعشرين
ميلا ، وهى تطارد القطار الذى يحمل زوجها فى عربة نقل مواشى
عبر وادى المارن الى نانسى ثم الى نهر الراين •

- وكان أملها فى أن تلحق بالقطار قد بدا يخبو .. ففى كل
محطة صغيرة مرت بها فى طريقها وسالت عن ذلك القطار . كان
الرد الذى تلقتة واحدا ، وهو ان القطار قد مر منذ ساعتين •
ومهما زادت من سرعتها ، فقد ظل الزمن الذى يفصل بينهما
وبين القطار واحدا ، لا يريد ان ينقص ابدا •

فى تلك اللحظة كان بيير على بعد عشرين ميلا منها ، يكافح من
أجل البقاء حيا فى القطار الذى توقف داخل نفق امتلا
بالدخان ..

كانت الرسالة العاجلة التى بعثت بها حركة المقاومة فى باريس
شمالا ، قد وصلت فى الوقت المناسب ، ولذلك فان بعض

الفدائيين التابعين للحركة كانوا قد نسفوا خمسا وسمين ياردة من الخط الحديدي المتجه الى نانسى ، بعد النفق بقليل . وهكذا اضطر القطار الى التوقف

ولكن بما ان اصلاح الخط الحديدي المدمر كان لابد ان يستغرق معظم النهار ، فقد خشى رجال الصاعقة الذين يرافقون القطار ان يتعرضوا لهجمات رجال المقاومة لو ظل القطار في الموقع المكشوف الذى وقف فيه والذى تقع على أحد جانبيه تلال وصخور . . فأمروا بأن يتراجع الى داخل النفق .

وفى داخل عربات نقل المواشى المغلقة عليهم ، كان المساجين قد نسوا منذ مدة طويلة ، موجة النشوة التى كانت قد عمت القطار بأجمعه عندما ادركوا أن رجال المقاومة قد خربوا الخط ، فرجال الصاعقة الالمان كانوا قد تركوا القطار ينفث الدخان الاسود لمدة ساعتين فى النفق المزدحم ، فأصبح المساجين فى حالة تقرب من الاختناق . .

وكانت احدى عربات النساء قد اصبحت أرضها لزجة لكثرة القيء الذى تجمع فيها ، بينما كانت النساء المتجمعات فى مركبة ثانية واثقات تماما من أن الالمان قرروا قتل المساجين بواسطة الخنق .

ومع ذلك فان كل دقيقة يؤس فى النفق الخانق الكريه الرائحة كانت تقرب قافلة المساجين خطوة من الخلاص . فوراء بعض الصخور المحاطة بالاشجار على سفح تل يواجه فتحة النفق ، كان خمسة رجال يراقبون وينتظرون . كانوا هم الذين نسفوا الخط الحديدي ، وكانوا يعلمون انه فى طول وادى المارن كان هناك رجال من أعضاء حركة المقاومة يحاولون فرادى وفى جماعات الوصول الى هذا المكان . وعندما يصل عدد كاف منهم سوف يهاجمون حراس القطار الذين يبلغ عددهم مائتين .

ولكن التعزيزات التي كان ينتظرها الرجال الخمسة وصلت متأخرة فقد شاء الحظ الساخر ان يقع بعض حراس الفطار من رجال فرق الصاعقة الالمانية على القطار الوحيد الآخر الذى كان موجودا فى المنطقة كلها ، على بعد ثلاثة أميال فقط من النفق . كان قطارا محملا بالمواشى الحقيقية ، المخصصة للجيش الالماني ، وكان واقفا بمحطة « نانتاي » . وقد طرد رجال الصاعقة المواشى منه وصادروه من أجل مساجينهم . وبعد ذلك بدقائق ، أخرج الالمان قطار المساجين من النفق تمهيدا لحمل ركابه على قطع المسافة التي نسف الخط الحديدى فيها على اقدامهم ، لكي يركبوا بعد ذلك القطار الجديد .

عندما خرج القطار من ظلام النفق ، كانت توجه الى نفس المكان شابة تتركب دراجتها وتسير على الطريق النهري المنعرج المحاذى لخط السكة الحديد . كانت ماري - هيلين لبفوشو قد لحقت اخيرا بالقطار . وبين الاشكال السوداء التي تدفقت من عرباته وهي تسعل وتنتفض ، تعرفت على زوجها بيير . .

فى تلك اللحظة لم يكن هناك شيء فى الوجود ، ولا حتى حرس الصاعقة ، يستطيع أن يحول بينها وبين التحدث الى زوجها . فاندفعت وهي ممسكة بدراجتها ، تجرى نحوه عبر المسافة القصيرة التي كانت تفصل بينهما .

عندما أصبحت بجانبه ورأت هزاله وقذارته ، فعلت أول شيء دفعتها اليه غريزتها دون تفكير : اخرجت مندبلا أبيض من جيبها ومسحت سواد دخان الفحم عن عينيه .

ومن غرائب المصادفات أن الحارس الذى كان يقف وراء بيير هز كتفيه فى عدم مبالاة ولم يعترض على سيرها بجوار ذلك الرجل الشاحب اللون المتعثر الخطى الذى كان زوجها . فبقيت

معه ، يدها في يده ، حوالى الساعتين . وقد كانت في ذلك الصباح مستعدة لان تقطع الارض من اقصاها الى اقصاها على دراجتها ، في سبيل أن تلتقي به ولو لدقيقتين .

ونحدث الزوجان طويلا خلال الفترة التي اتيح لهما أن يلتقيا فيها في اثناء مسيرة قافلة المساجين القاسية ، ولكن بضع كلمات فقط من تلك التي سمعتها من زوجها ستظل عالقة في ذهنها مدى الحياة . فقد أكدت لها تلك الكلمات التي قالها بيير مازحا ، ان تعذيب الجستابو له ، وان اضنى جسده ، الا أنه لم يؤثر في روحه القوية ولم يسلبه قدرته على المزاح .

قال لها بيير :

— ان أعدك بشيء واحد يا حبيبتي . بعد هذه الرحلة ، لن أعارضك ابدا بحجة ارتفاع التكاليف عندما تطلبين ان نسافر في القطارات ذات عربات النوم !

* *

من فوق تل بشرف على خط السكة الحديد ، اخذ خمسة رجال بكون وهم يشاهدون المساجين يعبأون في عربات نقل المواشي الجديده التي نقلوا اليها ، ثم وهم بشاهدون القطار يختفي في أحد منحنيات الوادي وهو في طريقه الى مدينة نانسي . لقد فسلب خطتهم في نصب كمين لهذا القطار . وعلى الرغم من انهم لم يكونوا يعرفون ذلك ، فانها كانت آخر فرصة أمام حركة المقاومة لوقف ذلك القطار بالقوة عن مواصلة السير .

وعندما عاد القطار الى الظهور أمامهم عند طرف الوادي البعيد شاهد الرجال الخمسة جسما صغيرا ابيض يتبعه .. انها ماري — هيلين ليعوشو التي كانت الرحلة بالنسبة لها لانزال في بدايتها !

أضىء النور الأحمر على لوحة التليفونات التى يجلس أمامها ضابط الإشارة الملازم ارنست برسندوف فى الدور الثالث من فندق « ميريس » فتنبهت جميع حواسه ، لأن ذلك النور يعنى ان برلين أو راستنبورج تطلب الحاكم العسكرى لباريس على الخط المباشر الذى يربطهما به .

اتضح ان المكالة آتية من مقر القيادة العليا لهتلر فى راستنبورج ، وعرف الضابط الشاب ان الجنرال - أوبرشت يودل هو الذى يتحدث على الطرف الثانى من الخط ، من صوته الأمر الجاف . حول الشاب المكالة الى الخط الخاص بالجنرال فون شولتتز ، وقرر ان يتصنت على الحديث مخاطرا بتعريض نفسه للمشول أمام محكمة عسكرية .

وانتفض برسندوف عند سماع الكلمات الاولى التى نطقها يودل ، فقد كان يسأل شولتتز عما وصل اليه التدمير الذى صدر الأمر باجرائه فى باريس . وأضاف يودل أن الفوهرر قد طلب تقديم تقرير اليه عن الموضوع فى اجتماع القيادة العليا النهارى الذى ينعقد عند الظهر يوميا ، أى بعد أقل من ساعة ..

ساد الصمت برهة قصيرة ، ثم رد شولتتز قائلاً انه « لسوء الحظ » لم يشرع في التدمير بعد ، وانه لا يزال يستعد له ، فخبراء التدمير لم يصلوا الا منذ اربع وعشرين ساعة .

أعرب يودل عن حيبة أملته الشديدة ، وقال ان الفوهرر كان ينتظر ن صبر نافذ سماع غير هذه الاخبار .

أعاد شولتتز على مسامع يودل الحجج التي كان قد استخدمها في اجتماع القيادة الفريية بالامس ، وقال له ان تنفيذ عمليات التدمير سوف يدفع المدينة الى حمل السلاح ضد الالمان . واقتراح ان يمضوا في تحضير كل ما يلزم لاجراء التدمير على الا يبدأ تنفيذه الفعلى الا بعد بضعة ايام .

قال يودل انه سيعرض توصيته على الفوهرر ثم يرد عليه ، ولكنه أبدى شكه في أن يوافق هتلر على اجراء أى تعديل في الخطط الموضوعة . وأبلغه ان عليه ان يمضى بأقصى سرعة في تحضيراته .

وانتهت المحادثة بكلمات مطمئنة من شولتتز . قال لرئيس أركان حرب القيادة العليا الالمانية ان باريس هادئة تماما ، وان الباريسيين لم يجرأوا على القيام بأية حركة .

* *

نزل المطر بعد الظهر وأغرق ملاعب نادى التنس الذى يحمل اسم « جان بوان » فتصور المشرف على الملاعب انه لن يستقبل أى زوار فى ذلك اليوم غير انه كان مخطئاً ، اذ ما لبث أن جاء الى النادى واحد من أحسن زبائنه هو جاك شابان - دلماس الذى وصل مبتلاً تماماً ويحمل فى يده دجاجة مذبوحة .

ولم يكن رجل النادى قد رآه منذ حوالى الاسبوع ، فسأله :

- اين كنت طوال هذه المدة ؟

فرد شابان - دلماس قاتلا :

- في فرساي .. لأحضر هذه الدجاجة اللعينة !

* *

في حر الجزائر المحرق ، وبنساء على عدة أسباب من بينها المعلومات التي حملها من باريس شابان - دلماس .. اتخذ شارل دي ديجول قرارا ..

انه سوف يذهب الى فرنسا .

والآن وتحت مروحة السقف التي تدور في كسسل مشير للأعصاب ، يقوم ديجول بأبغض عمل اليه يتصل بهذه الرحلة . انه يطلب اذنا بالقيام بها من الجنرال الانجليزى سير هنرى ميتلاند ولسون القائد الرئيسى للحلفاء في الجزائر . فقد كان ولسون هو المسئول عن تحويل طلب ديجول الى القيادة العليا للحلفاء في أوروبا لتبت فيه .

فحتى في هذه المرحلة ، كان لا يزال على ديجول ان يتقيد باجراءات الحصول على موافقة حلفائه لكي يزور فرنسا .

اكتفى ديجول بان يقول لحلفائه في الطلب الذي يكتبه انه سوف يقوم بجولة تفتيشية روتينية في ذلك الجزء من فرنسا الذي تم تحريره على يد الحلفاء . ولكن ما كان ينوى عمله فعلا، كان شيئا أكثر طموحا ..

كان ينوى ان ينقل نفسه أولا ، ثم حكومته الى فرنسا والى باريس بالذات .

كان ديجول مصمما سواء أعجب ذلك الحلفاء أو لم يعجبهم ، وسواء اعترف روزفلت أو لم يعترف .. كان مصمما على ان يستقر هو وحكومته في عاصمة فرنسا .

وقد نعهد ألا يكشف عن نوابه الحقيقية للقادة العليا للحلفاء
في أوروبا نسبيين :

أولا - لأنه لم يكن يعتبر أن ذلك من شأن تلك القيادة .

وثانيا - لأنه كان مقتنعا بأنه لو أدرك حلفاؤه الأمريكيون ما
يعتزم الإقدام عليه ، فإنهم سيحاولون إبقاءه في الجزائر . وكان
هذا إجراء لم يكن في نيته أن يسمح به .

كان رئيس فرنسا الحرة الشديد الكبرياء مصمما على أن
يدخل فرنسا وباريس بأية طريقة . وكان مصرا على أن يصل إلى
هدفه سواء ساعده حلفاؤه أو لم يساعده ، بوسائله الخاصة ،
وعلى حساب المخاطرة بحياته إذا لزم الأمر .



في قافلة السيارات المريحة التي اتخذ منها مقرا لقيادته في
« شيلبارست » أخذ الجنرال أيزنهاور يعد في ارتياح عدد القوات
الألمانية المتزايد الذي تنفلق عليه فجوة « فاليز » . وكان ذهنه
قد أصبح مشغولا منذ الآن بالمرحلة التالية من معركة فرنسا . .
بالاندفاع نحو نهر السين وما وراءه .

خلال مراجعته للاستعدادات التي أعدها لتلك المرحلة ، لم
يشعر بأي قلق خاص حول الموقف في باريس . . فلم يكن أحد
قد كلف نفسه بإبلاغ القائد الأعلى لقوات الحلفاء بأن ثورة على وشك
النشوب في العاصمة الفرنسية . ولم يكن التحذير الذي تضمنته
رسالة شابان - دلماس قد وصل إلى القائد الذي كان شابان -
دلماس يتطلع إلى اقناعه بتغيير خطته .

فوق هضبة تطل على قرية « توسون » على بعد اربعين ميلا جنوبى باريس ، كان عشرات من الفدائيين الفرنسيين يتدربون ليليا منذ أسابيع على القيام بعملية خطيرة . كان الهدف من تدريبهم الشاق هو جعلهم مستعدين لاستقبال طائرة صغيرة فوق هضبتهم ، ونقل راكبها بعد ذلك الى احدى السيارتين الالمانييتين اللتين كانتا قد سرقوهما وخبأوهما مع أسلحتهم الوفيرة حول الهضبة ، ثم تهريبه الى مكان معين فى باريس . وكان على قسم منهم أن يشكلوا فرقة انتحارية بعد ذلك ، مهمتها اغلاق الطريق خلف السيارة .

هذا المساء ، أعجب قائد أولئك الفدائيين بنوع خاص بالأسلوب الذى مثلوا به المراحل المخلفة لتلك العملية . . وكان قد عاد قبل ذلك بقليل من اجتماع عقده مع الرجل الذى أشار عليه بتدريب رجاله على مختلف التحركات التى تتطلبها هذه العملية .

ففى ظلام كنيسة « سان سولبيس » كان قد النفى بشابان - دلماس وتلقى منه كلمة السر التى تعلن بدء تنفيذ تلك العملية ، وعرف انه سوف يسمع كلمة السر هذه من الراديو ، وان عليه ان ينتظر سماعها منذ الآن فى أى وقت .

فأمر قائد الفدائيين اثنين من كبار مساعديه بأن يستمعا الى محطة الاذاعة البريطانية على مدار الساعة يوميا بالتناوب ، فى انتظار اذاعة جملة : « هل افطرت جيدا يا جاك ؟ » .

فلو اذيعت تلك الجملة التى تتألف منها كلمة السر ، فان طائرة صغيرة سوف تهبط سرا بعد اذاعتها بست ساعات فوق الهضبة ، وتحمل اليهم الزائر الهام الذى يستعدون لاستقباله منذ شهرين ونصف شهر .

ونظر قائد الغدائيين الى الرجلين اللذين ابلفهما بهذا الامر ،
وقال لهما :

الآن أستطيع أن أبوح لكما باسم الرجل الذي سوف تحمله
تلك الطائرة في حالة قدومها .. انه سيكون الجنرال ديغول .

كان مارسيل ماركارى أمين قصر لوكسمبورج هو الفرنسى الوحيد المصرح له بدخوله ، منذ ان تحول فى ٢٥ اغسطس سنة ١٩٤٠ الى مقر لقيادة قوة الطيران الالمانية فى فرنسا . وكان يعلم عند وصوله اليه فى صباح السابع عشر من اغسطس سنة ١٩٤٤ ان قائد الطيران ورجاله قد غادروا باريس أمس وانتقلوا الى مدينة « ريمس » تاركين القصر لقوة من رجال الصاعقة .

ولم يكن ماركارى يرى فى رحيلهم ما هو أكثر من انه يحدد نهاية فصل قصير عابر سرعان ما سوف ينسى فى التاريخ الطويل لهذا البناء العريق الذى يحبه كثيرا . ولكنه رأى فيه أيضا بشيرا ينبىء باقتراب تحرير باريس . وهكذا فانه سوف يتاح له قريبا ان يعيد الى عاصمة بلاده - سليما تماما - هذا القصر الذى ظل يحرسه طوال السنوات الأربع الماضية كما لو كان قصره الخاص .

كان هذا القصر الهائل الرمادى اللون قد أوشك أن يصبح بالنسبة له شيئا حيا . وفى كل مرة كان حذاء المانى يسحق سبجارة على أرضه « الباركيه » ، ويلاحظ ماركارى ذلك ، كان يحس بان السبجارة تحرق جلده .

هذا الصباح بدأ يومه كالمعتاد بجولة بين كنوز القصر .. دخل
اولا المكتبة التى تحتوى على ٣٠٠ ألف كتاب ثم طاف باللوحات
النادرة المعلقة فى مختلف القاعات ، واخيرا اتجه الى الفناء الداخلى
للقصر الذى يحمل اسم « فناء الشرف » والذى كان يعلم ان الالمان
يعدون فيه مخبأ تحت الارض .

قبل ان يخرج الى الفناء اعترض طريقه حارس من رجال
الصاعقة يحمل مدفعا رشاشا ، اشار له به ان يبتعد .. ولكن
خلال اللحظة الخاطفة التى نظر فيها الى الفناء أدرك ماركارى لماذا
أبعده عنه .

داخل الفناء كانت قد اصطفت اثنتا عشرة سيارة نقل من
سيارات الجيش الالمانى ، أخذ عمال من أعضاء النقابة المتعاونة مع
قوات الاحتلال ، ينزلون منها صناديق خشبية ثقيلة . وكان كل
صندوق قد ختمت عليه كلمة « خطر » ورسمت عليه صورة
جمجمة وعظمتان متقاطعتان .

كما رأى بجانب السيارات كوما من أجهزة التفجير ومن
الاسلاك .

وأدرك ماركارى معنى ما رآه .. أدرك أن الالمان يستعدون
لنسف القصر الذى ظل يحرسه فى غيرة شديدة طوال اربع
سنوات .. فبدأ يفكر ، فى سرعة يائسة ، فى طريقة يمكن
بواسطتها أن ينقذه ..

واخيرا طرأت فى ذهنه فكرة .. قال لنفسه أن هناك رجلا ربما
يستطيع وحده دون الناس جميعا احباط مشروعات الالمان .. انه
الكهربائى فرانسوا دلبى . فهو يعرف كل بوصة من الاسلاك
الكهربائية الموجودة فى القصر .. وهى الاسلاك التى سوف يحتاج
اليها الالمان لاطلاق متفجراتهم .

ولم يكن قصر لوكسمبورج هو المكان الوحيد في باريس الذي بدأت تنفذه فيه فجأة وفي سرية في ذلك الصباح الاجراءات التي أمر بها هتلر . ولا كانت المصانع ومحطات الكهرباء هي الأماكن الوحيدة التي شملتها تلك الاجراءات .

فمبنى مجلس النواب ومبنى وزارة الخارجية اللذان يتألف منهما احد جوانب ميدان الكونكورد الفريد في جماله ، كان يجري الاستعداد لنسفهما أيضا ، وكذلك سنترالات التليفونات ومحطات السكك الحديدية والكبارى والمنشآت العملاقة لشركة « سيمنز - وستنجهاوز » في فونتينبلو ..

وفي فندق « ميريس » كان الرجل الذي حركت قيادته هذه الاستعدادات الواسعة النطاق ، يقوم بزيارته الثانية للمكاتب التي وضع فيها خبراء التدمير الذين ارسلوا له من برلين . كانوا قد تفقدوا قبل الظهر خمسة مصانع كبرى من بينها مصانع سيارات « رينو » ومصانع طائرات « لويس بليريو » . وعند زيارتهم لكل مصنع كانوا يضعون على الرسومات التفصيلية التي يحملونها لذلك المصنع علامات x حمراء فوق الأماكن التي ينبغي وضع المتفجرات فيها .. وقد اطلعوا فون شولتتز على تلك الرسومات ، فوجدها غارقة في بحر من علامات x الحمراء .

عندما تركهم شولتتز وعاد الى مكتبه وجد رئيس أركان حربه العقيد فون اونجر في انتظاره . ناوله في صمت ورقة برقية زرقاء صادرة من القيادة العليا للجيش الألمانية في الغرب مكتوب على رأسها : « عاجل وسري للغاية » وتحمل توقيع المشير فون كلوجه . في نهاية الفقرة الرابعة منها وردت جملة شدد انتباه فون شولتتز اليها مباشرة ، وكان نصها :

« انى أصدر الامر بتنفيذ عمليات التدمير والتخريب المعدة

لباريس » .

فى فندق ماجستيك ، كان رجلان يجريان فى لهفة مستمينة بين الممرات والغرف فى ذلك الصباح بحثا عن توقيع ، دون أن يعثرا على أحد يقدمه لهما . فالمكتب الألمانى للادارة العسكرية لفرنسا كان قد انسحب الى مكان آخر أكثر أمنا من باريس . وبدأ لقنصل السويد العام راوول نوردلنج ولحليفه الوفى « بوبى بندر » - ضابط المخابرات الألمانى الذى كان يعمل سرا ضد حكومة بلاده النازية - انهما قد وصلا بعد فوات الأوان .

ففى هذا الفندق الذى وجداه خاليا الا من مخلفات الذين رحلوا عنه ، كانا يأملان ان تكلل بالنجاح الجهود المضنية التى بذلاها خلال الأربعة الأيام الماضية فى سبيل وضع الثلاثة آلاف وستمئة وثلاثة وثلاثين سجيناً سياسياً المتبقين فى باريس تحت حراسة لقنصل السويد ، لاتقاذهم من المذبحة التى كانا واثقين من انها تنتظرهم .

قبل وصولهما الى الفندق بنصف ساعة كان الجنرال فون شولتز قد قال لهما ان المساجين السياسيين لا يهتمونه بالمرّة ، وانه مستعد لتنفيذ أية اتفاقية تقضى باخلاء سبيلهم اذا كانت تلك الاتفاقية تحمل توقيع أحد ضباط الادارة العسكرية المختصة بشأنهم . وكانت كلماته تلك أول بادرة مشجعة لاحت للرجلين خلال الأيام الأربعة الماضية .

وكاد الرجلان يغادران فندق ماجستيك فى باريس ، عندما سمعا فجأة صوت رنين جسم معدنى يتردد صداه فى الممرات الخالية ، فاتجها نحو مصدر الصوت ليجدا الضابط يوزف هوهم يغلق ادراج دولابه المعدنى فى غضب بعد أن قذف بمحتوياتها فى نار المدفأة .

كان هذا الضابط الذى يشغل منصب رئيس اركان حرب الادارة العسكرية لفرنسا هو آخر من تبقى فى هذا الفندق الضخم ، وكان يستعد لمغادرته بعد دقائق ليلحق ببقية زملائه .

عندما دخل عليه نوردلنج وبندر ، وأخذا يشرحان له سبب قدومهما ، لم يخف هوهم ضيقه وتبرمه وتعجله . . وأخبرهما أنه لا يستطيع أن يتصرف فى شيء الا بأوامر من رئيسه الجنرال كيتزنجر الذى أصبح الآن فى مدينة نانسى .

ولكن القنصل السويدى لم يكن مستعدا لتركه بفلت منه بهذه البساطة ، فقال له أنه مفوض من الحلفاء بأن يعرض عليه خمسة جنود أسرى من الألمان فى مقابل كل سجين سياسى فرنسى يفرج عنه .

وكان نوردلنج كاذبا فيما قاله . . ولكن كل ما كان يهمله فى ذلك الوقت هو ان يحمل هوهم على وضع توقيع على ورقة ، لكى يتعلل فون شولتتز بهذا التوقيع ويفرج عن المعتقلين . فقد أحس نوردلنج بأن شولتتز لا يمانع فى ذلك ، وان كل ما يريده هو توقيع أحد المسؤولين مباشرة عن المساجين ليتستر وراءه .

وأحدثت كذبة القنصل أثرها ، فقد تغير موقف هوهم وبدأ يهتم بالموضوع . وقال الضابط الألمانى أنه على استعداد لأن يدرس هذا الاتفاق اذا تم وضعه فى الصيغة القانونية المناسبة . لكنه نظر الى ساعته واستطرد قائلا : « ولكنى مضطر الى الرحيل بعد ساعة واحدة » .

فخرج نوردلنج وبندر جارين من مكتبه لبحثا عن محام يضع « صفقة المتاجرة بالمخلوقات البشرية » هذه فى الصيغة القانونية . . وعادا قبل انتهاء الساعة بثوان الى هوهم الذى وقع الاتفاقية ، وهو يعتقد أنه يستعيد بذلك أكثر من ثمانية عشر ألفا من الجنود لبلاده .

وقد تضمنت الاتفاقية أمرا الى سلطات السجون والمعتقلات والمستشفيات التي تحتجز المساجين بتسليمهم نوردلنج ليصبحوا تحت حراسته .



منذ أن غادرت قافلة المساجين السياسيين الأخيرة التي جرى ترحيلها الى المانيا سجن « فريسن » لم يكن لويس ارمان - موظف السكة الحديد الذى كان يتمنى أن يكون ضمن أعضاء تلك القافلة ليتخلص من تعذيب الجستابو المستمر له - لم يكن قد ذاق أى طعام . فالغذاء الوحيد الذى قدم له كان قطعة متعفنة كثيبة المنظر من الجبن ، فى حين كان هو يكره الجبن ولم يكن قد أكله قط طوال حياته .. وعلى الرغم من جوعه الشديد فقد عجز عن اكل قطعة الجبن التى أمامه .

كان يشعر بالدوار لشدة الجوع ، فلما سمع أصوات أبواب الزنزانات وهى تفتح الواحدة بعد الأخرى ، ظن فى أول الأمر أن خياله هو الذى يصور له ذلك . غير أنه ما لبث أن أدرك أن الأبواب التى تفتح لايعاد اغلاقها ، فتمتم صلاة قصيرة وأعد نفسه لمواجهة الموت . فقد أيقن أن فرقة اطلاق النار تنتظر المساجين المتبقين فى فناء السجن لتبيدهم ..

ولكن قنصل السويد العام راوول نوردلنج كان هو الواقف فى فناء السجن وليس فرقة اطلاق نار ألمانية . وكان ينظر الى المساجين وهم يساقون الى الفناء لعددهم ، بعد أن تلقى وعدا من سلطات السجن بالافراج عنهم فى الغد تنفيذا للامر الذى حملة اليهم بتسليم المساجين اليه .

وكان عدد المساجين ٥٣٢ بينهم ثلاثة محكوم عليهم بالاعدام . تابع نوردلنج عملية عد المساجين فى صبر نافذ ، فقد كان لا يزال أمامه الكثير الذى يجب أن يعمل فى أسرع وقت ..

كان لا يزال عليه أن يذهب الى سجن رومانفيل والى معتقل درانسي والى معتقل آخر خارج منطقة باريس فى « كومبيين » .
كما كان نودرلنج يرجو أن يتمكن ايضا من إيقاف القطار الذى يحمل بيير ليفوشو والآلاف والخمسمائة سجين الآخرين الى المانيا ، قبل أن يبتعد كثيرا ذلك القطار

طلب الفريق دبتريش فون شولتنز خريطة لباريس ، ومر بيده فوقها بسرعة ، ثم وضع اصبعه على بقعة فيها لم يختبرها لاي سبب معين بالذات ، وقال لزائره :

- لو فرضنا ان رصاصة اطلقت على احدى جنودى من هنا فى شارع الأوبرا .. فى هذه الحالة سوف أحرق كل مبانى الناحية وأطلق النار على سكانها جميعا .

واكد للزائر ان لديه كل الوسائل التى تمكنه من أن يفعل ذلك ، فتحت تصرفه ٢٢ ألف جندي معظمهم من رجال الساعة ومائة دبابة « نمر » وتسعين طائرة .

ارتعد بيير شارل تيتنجيه عمدة باريس المعين من قبل حكومة فيشى عند سماع هذه الكلمات .. فقد جاء على أمل أن يجد رجلا مستعدا للتفاهم ، ولكنه ووجه بقائه صارم عنيد يهدده بكل بساطة بمسح مناطق بأسرها من باريس .

وكانت محادثة تليفونية من مجهول هى التى دفعتة الى زيارة قائد منطقة باريس الالماني ، فقد أبلغه محدثه الذى لم يتعرف عليه ان الالمان قد شرعوا فى اخلاء العمارات المحيطة بكبارى باريس من سكانها تمهيدا لنسفها .

والتفت شولتنز الى الخريطة من جديد وأخذ يمر باصبعه على منحنيات نهر السين وهو يقول :

— كضابط سابق يا مسيو تيتنجيه ، لا شك انك تدرك ان هناك اجراءات معينة يتحتم على ان اتخذها في باريس . ان واجبي هو ان أعرقل الى اقصى مدى فى استطاعتى تقدم الحلفاء ،

ومضى الجنرال البروسى الصارم يشرح فى صوت جاف أجش الاجراءات التى ينوى اتخاذها .. فقال انه سوف يدمر كبرى المدينة ، ومحطات الكهرباء فيها ، والسكك الحديدية ، وكافة وسائل المواصلات .

فقال تيتنجيه الذى جلس مذهولا امامه .. قال لنفسه :
— ان هذا الرجل يستعد لتدمير باريس ببساطة ولا مبالاة كاملتين .. تماما كما لو كانت باريس مجرد قرية صغيرة فى اوكرانيا !

ولم يكن لدى العمدة اية أوهام بشأن السلطات المتبقية له ، فأدرك انه ليس امامه الا ان يفعل شيئا واحدا ، هو ان يحاول ان ينقل الى ذلك الجندى القاسى الذى يتحدث اليه فكرة عن الارتباط العاطفى الذى يحسه نحو باريس . وزوده غضب شولتتز المكتوم بالفرصة المناسبة ، فقد أصابته نوبة طويلة من السعال نتيجة للانفعالات الحادة التى كان يكتبها .. فاقترح عليه تيتنجيه الخروج الى الشرفة المطلة على حديقة « التويلرى » .

هناك وامام المنظر الهادى الجميل الممتد أمامهما وجد تيتنجيه الحجة التى كان يبحث عنها .. فأشار الى القبة الذهبية لمبنى « الانفاليد » التى كانت تلمع فى شمس الظهيرة ، والى برج ايفل الصاعد نحو سماء أغسطس الصافية ، والى الأطفال الذين كانوا يلعبون حول البركة المستديرة فى حديقة « التويلرى » والى فتاة حسناء كأنه تقطع شارع ريفولى تحتها على دراجتها ، والى الاجنحة الرمادية لمتحف اللوفر التى تحتضن حوائقه الخضراء ،

والى التنسيق الرائع لميدان الكونكورد .. اشارة الى هذا كله
وقال :

- كثيرا ما نتاح فرص التدمير للجنرالات .. ولكن نادرا ما
نمنح لهم فرصة لكى يحافظوا على شيء جميل . تصور انه قد
يكون من نصيبك ان تقف على هذه الشرفة مرة اخرى ، كسائح ،
وان تنظر ثانية الى هذه الانصاب التى اقمناها لافراحنا والامنا ،
وان يكون فى وسعك ان تقول : كنت استطيع تدمير هذا كله ،
ولكنى حافظت عليه كهدية للبشرية .. يا سيدى الجنرال ، الا
يساوى ذلك كل امجاد الفزاة ؟

ظل فون شولتز صامتا برهة ، ثم التفت الى تيتنجيه وقال فى
صوت خفت حدته قليلا عن ذى قبل :

- انك محام جيد عن باريس يا مسيو تيتنجيه . لقد قمت
بواجبك فى اخلاص وامانة . ولكن انا ايضا - كجنرال المانى -
يتعين على ان اؤدى واجبى فى امانة واخلاص كذلك .

كان البريجادير - جنرال « العميد » جوليوس هومز مضطرا
الى الصراخ وهو يتحدث فى التليفون من مكتب لندر للقيادة العليا
للحلفاء فى أوروبا ، مع مساعد وزير الخارجية الامريكية فى واشنطن
جون ماكلوى ، فالخط لم يكن واضحا .. ولكنه كان فرحا بتلك
المحادثة .. انها اتاحت له فرصة ان يبحث مع واشنطنون مباشرة
اهم المشاكل التى كانت تواجهه عندئذ ، وهى رغبة ديجول فى
السفر الى فرنسا .

بعد ان فرغ ماكلوى من ابلاغه بالشئون التى طلبه تليفونيا من
اجلها .. قال له هومز الذى كان يشغل منصب مدير الشئون المدنية
بقيادة الحلفاء العليا :

— والآن فيما يختص بزيارة ديغول لفرنسا . . نريد أن نتأكد من أنه لا اعتراض لكم عليها .

فسأله ماكلوى :

— أين يريد أن يذهب . . ولماذا ؟

فأوضح له هوفر أن الزعيم الفرنسى يريد أن يزور المناطق التى تم تحريرها فى فرنسا . وأضاف أنه ربما يريد أن يكون « جاهزا » للذهاب الى باريس اذا أمكنه ذلك فى المستقبل غير البعيد .

سأل ماكلوى وكذلك مساعده العسكرى الميجور — جنرال « اللواء » وليام هليدربنج عن المدة التى يريد ديغول أن يقضيها فى فرنسا . . فرد هومز قائلا أنه لا يدري .

فاستنتج ماكلوى ومساعده من ذلك أن ديغول ربما يريد البقاء فى فرنسا . . وقالوا لهومز :

— هذه ليست مجرد زيارة فى الحقيقة ، وهناك فى الأمر ما هو أهم من ذلك .

وطلبا منه أن يسأل ديغول ما اذا كان ينوى البقاء فى فرنسا أو القيام بزيارة لها فقط . وأضافا أن قرار واشنطنون فى هذا الشأن سوف يتوقف على جوابه .

ثم نبها هومز الى أن الحكومة الأمريكية لن توافق على سفر ديغول الا على اساس الزيارة . اما اذا تبين أنه يفكر فى شيء آخر ، فعلى هومز أن يبلغ واشنطنون على الفور .

وأضافا أن هومز يمكنه أن يوافق على الزيارة دون الرجوع الى واشنطنون ، اذا تأكد أنها مجرد زيارة .

بعد انتهاء المكالمة ، أبرق هومز الى الجنرال سير هنرى ميتلاند ولسون طالبا المزيد من المعلومات ، فجاءه الرد من الجزائر بعد

ساعات قليلة يطمئنه الى أن دييجول ينوى زيارة فرنسا فقط ، فهو لم يعرب عن أية نية فى الاستقرار هناك .

وعلى أساس هذه المعلومات ، بعث هومز بموافقة القيادة العليا للحلفاء فى أوروبا على زيارة دييجول . وهى زيارة سوف تطول أكثر بكثير مما أرادت لها قيادة الحلفاء أو حكومة واشنطن !

كان فون شولتتز واقفا وحده فى الشرفة يفكر فيما قاله له
بيير تيتنجيه بعد نزول الأخير من عنده ، عندما سمع الأوبرشت
فون أونجر يناديه من خلفه فى استعجال . ولكن حتى قبل ان
يتمكن رئيس أركان حربه من أن يعلنه بقدوم من تبعه ، اندفع
الى المكتب كالاعصار رجل يرتدى معطفا جلديا يغطيه القبار .

صاح فون أونجر : جنرال فلدمارشال - اى المشير - مودل .
فاندهش شولتتز لسماع ذلك الاسم ولرؤية ذلك الرجل
صاحب الابنسامة الصغيرة الساخرة التى يعرفها جيدا ، وسأل
نفسه : « ترى ما الذى جاء بقائد مجموعة جيوش اوكرانيا الى
مكتبه ؟ » .

ورد فالتز مودل على سؤال الذى لم يخرج من فمه قائلا وهو
يهز عصا المارشالية فى يده انه جاء ليخلف فون كلوجه كقائد عام
فى الغرب .

وأضاف أن أوامره هى : الصمود فى باريس وفى السين بأى

ثمن .

واستطرد مودل قائلاً فى نبرات تقطر غيظاً أن مهمته بوجه عام هى إعادة النظام والقضاء على الفوضى فى هذه الجبهة الغربية ، وأضاف انه يبدو أنها مهمة ملحة بناء على ما رآه على الطريق من ميتر الى باريس . فقد شاهد كثيراً من الجنود الألمان المسلحين عن وحداتهم يسرون على ذلك الطريق .

وكان فون شولتتز يعرف - كما يعرف كل جندي آخر فى الجيش الألماني - شهرة الجنرال فلدمارشال مودل . .

انه نازي متحمس ، ورجل حديدى الارادة ، وذو شجاعة شخصية عظيمة . وهو أيضاً شديد العنف وكثيراً ما يتخذ قرارات سريعة متهورة .

بعد أيام سوف يكتب عنه أحد ضباط مخابرات الحلفاء فى تقرير يقدمه الى القيادة العليا للحلفاء فى أوروبا : « انه معروف بولائه لهتلر ، ولا يستهويه شئ أكثر من أن يطالب بالقيام بالمستحيل » .

وكان قدومه مفاجأة غير سارة لشولتتز الذى لم تكن لديه ثقة كبيرة فى حسن تقديره للأمور . كما انه كان واثقاً من أن مودل لن يتردد فى منحه شرف « احراق أرض » باريس وراءه فهو - كما يعرف شولتتز - رجل تسيطر عليه « عقلية الجبهة الشرقية » .

غير أنه كان لقدومه حسنة مع ذلك ، فهو يتيح لشولتتز أن يؤجل تنفيذ أعمال التدمير التى أمر بها فون كلوجه ذلك الصباح . وقد قال لمودل ان التدمير سابق لأوانه وانه لن يؤدى فى الوقت الحاضر الا الى إثارة الأهالى المدنيين ، وانه فوق ذلك قد يعرقل استعداداته للدفاع عن المدينة .

فوافق مودل على ذلك وأمره بالألا يشرع فى تنفيذ أى إجراء فى هذا الصدد الى حين يتاح له مراجعة شئون قيادته الجديدة .

ولكن فرحة فون شولتتز بالمهلة التى كسبها كان مقدرا لها الا تطول . فبينما كان يرافق مودل الى السيارة التى سوف تقله الى مقر قيادته الجديدة ، التفت ذلك الرجل الصغير الحجم الطاغى الشخصية اليه وقال له :

— أن ما استغرق منا اربعين دقيقة فى « كوفل » سوف يستغرق منا أربعين ساعة فى باريس يا شولتتز ، ولكن عندما ننتهى ، سوف تكون هذه المدينة قد زالت .

وكانت كوفل مدينة صغيرة فى بولونيا ، كانت قوات مودل قد مسحتها من الوجود .

فى قصر « ماتينيون » الفخم الذى يتخذة رؤساء وزارات فرنسا مقرا لاقامتهم ، كان رجل يغمره الاحساس بالوحدة يستحم فى حوض استحمام من الرمر .

انه بيير لافال رئيس حكومة فيشى الفرنسية ، المتعاونة مع الألمان .

لقد خسر بيير لافال مقامرته الاخيرة . اخرج ادوار هريو رئيس مجلس نواب فرنسا الذى الغى الاحتلال الالماني وجوده ، مع الأسر النازى لكى يعقد ذلك المجلس الذى كان لافال ينسوى تسليمه سلطاته — وربما جلده أيضا — ولكن هاينريش هملمر وزير داخلية هتلر طلب استعادة هريو .

والآن أصبح عالم لافال يتهاوى من حوله ، ولم يبق أمامه الا شىء واحد فقط ، هو الهرب . وعند مدخل القصر تنتظره السيارة « الهوتشكيس » السوداء التابعة لفرق الصاعقة الألمانية التى سوف تحمله شمالا الى المانيا .

قبل ذلك ببضع دقائق ، وعلى ضوء شمعتين ، كان قد جلس الى المكتب الذى حكم منه فرنسا ، وافرغ ادراج ذلك المكتب .. وبعد دقائق سسوف يعقد رباط عنقه الأبيض ويلتقط قبعته وعصاه وينزل الى حجرة المكتب فى الدور الارضى ليصافح الاصدقاء الاوفياء القلائل الذين جاءوا لوداعه . فهناك فى تلك الحجرة ذات السقف العالى التى تبدو فى ظل الشمعتين اللتين تضيئانها كأنها قاعة جنائزية ، تجمع عدد ممن نبقوا من اعضاء حزبه الذين تبعوه فى سياسة التعاون مع اعداء فرنسا .

على باب القصر . سوف يقبل ابنته جوزى مودعا ثم ينزل نحو السيارة المنتظرة .. لكنه سوف يعود ويقفز من السيارة ويصمد على عجل السلالم القليلة المؤدية الى باب القصر ، ليقبل مرة أخرى ابنته الوحيدة ..

وهى لن تراه ثانية الا بعد نهاية الحرب .. عندما يجلس فى قفص الاتهام فى محكمة باريسية تحكم عليه بالاعدام .



انطلقت السيارة « الهوتشكيس » السوداء من مدخل قصر « ماتينيون » واختفت فى الشوارع المظلمة وراء بوابته . وفى صوت حاد جاف انفلقت وراءها بوابة القصر الضخمة .

لقد اصبح « بيت فيشى » خاليا ، وانطوت مع انغلاق بوابته صفحة حزينة من تاريخ فرنسا ..

وفى ظلام المدينة المطفأة الانوار المحيطة بقصر « ماتينيون » .. كانت القسوى التى سوف تقود فرنسا الجديدة قد بدأت تتحرك ..

جمهور الصباح المبكر الذى كانت حركته قد بدأت تدب فى شارع « دى سيعر » بالقرب من محلات « بون مارشيه » لم ير فيهما الا شابين عاشقين . فقد كادت جبهتهما تتلامسان وهما ينحنيان فوق دراجتيهما الواقعتين ملتصقتين بينهما ، ويتبادلان الحديث فى همس ..

وفى حنان المحبين ، جذبت الفتاة نحوها واخذت تمر بيديها فى شعره . بنما كانت تفعل ذلك نقلت أصابع الفتى المدربة منفاخ دراجبه الصغير فى سرعة فائقة الى دراجتها .

وعادت الفناء فى هدوء الى بيتها فى شارع « سديو » وصعدت سلالم ثلاثة طوابق لنصل الى شقتها . وبعد ان احكمت اغلاق الباب وراءها ، اخرجت من دولاب كتبها كتابا مجلدا بالجلد الاحمر عن فن الرسم « العلمنى » ، وأخذت تقلب صفحاته الى ان وصلت الى صفحة تحتوى على صورة ملونة لرسم مغموز يدعى « بروحل » . أمسكت بتلك الصفحة بين ابهامها وبنصرها وضغطت عليها ، وأخرجت قطعة من الورق الشفاف من تحت الصورة الملونة . ثم فكت قاعدة المنفاخ الصغير الذى نقله اليها صديقها وأدخلت أصبعها فى فتحة ، وسحبت من داخله قطعة ورق ثانية .

وفردت الفتاة الورقتين على مكتبها واخذت تعمل .

اسم الفتاة « جوسلين » . . وكانت احدى فتاتين خصصتهما حركة المقاومة السرية في باريس لاعمال الشفرة . . . على الورقة التى كانت مخبأة في كتابها توجد معلومات كان الجستابو مستعدا لان يدفع فيها ثمنا غاليا جدا سواء بالدم او بالذهب ، فتلك الورقة كانت تحتوى على مفتاح الشفرة التى تستخدمها قيادة انصار دييجول في فرنسا .

كانت « جوسلين » احدى حلقات سلسلة معقدة من اعضاء حركة المقاومة ، يتألف منها الجهاز الذى يتولى نقل جميع الرسائل من باريس الى قيادة الفرنسيين الاحرار في لندن . كان لدى حركة المقاومة ثلاثة اجهزة ارسال لاسلكية في باريس وثلاثة اخرى في ضواحيها . وكانت اجهزة باريس تعمل في الايام الزوجية واجهزة الضواحي تعمل في الايام الفردية .

وبعد ظهر هذا اليوم ، بعد ان تفرغ « جوسلين » من صياغة الرسالة التى تلقتها قرب محلات « بون مارشيه » بالشفرة ، فانها سوف تسلمها الى رجل آخر يركب دراجة فى شارع فولتير ، وسيقوم هو بنقلها الى غرفة تقع فى بדרوم المبنى رقم ٨ بشارع فانو . هناك فى فجوة فى الحائط تحتها مرحاض علاه الصدا كان يوجد احد اجهزة ارسال باريس الثلاثة .

كان « ايريال » الجهاز يمد فى المجارى عند الارسال . وبينما كان احد الرجال يتولى عملية الارسال ، كان زميل له يقف ومعه قنبلتان يدويتان على راس السلالم المؤدية الى البدروم للحراسة . . . ومن حيث المبدأ ، لم تكن الاذاعات تستمر لأكثر من عشرين دقيقة خوفا من ان يهتدى الى مكانها رجال الجستابو الذين كانوا يطوفون شوارع باريس بسيارات نقل تحمل اجهزة تحديد مصادر الاذاعات .

وكانت « جوسلين » قد تلقت تدريباً طويلاً على عدم قراءة الرسائل التي تصوغها بالشفرة ، ولذلك فقد تجاهلت الرسالة التي فردت أمامها . كانت تلك الرسالة هي أول تقرير يبعث به شبان - دلماس الى لندن بعد رجوعه الى باريس . ولكن عندما وصلت جوسلين الى نهاية الرسالة ، تنبّهت حواسها على الرغم منها ، ووجدت نفسها تخالف التعليمات الصادرة اليها وتقرأ الرسالة بأكملها .

كان نص تلك الرسالة :

« الموقف في باريس حرج للغاية . الاضرابات تشمل رجال الشرطة والسكك الحديدية والبريد ويوجد اتجاه متزايد الى حدوث اضراب شامل . وتوفرت جميع الظروف اللازمة لاشعال الثورة . الحوادث المحدودة التي تقع بلا تدبير سابق أو نتيجة لاستفزازات العدو أو حتى بسبب بعض جماعات المقاومة المتعجلة سوف تكون كافية لاشعال خطر الاشتباكات التي سوف يرد عليها الالمان بأعمال انتقام دموية يبدو انهم اتخذوا قرارات بشأنها فعلاً ، وجمعوا الادوات اللازمة لها . الوضع يزداد سوءاً مع شلل الخدمات العامة : لا يوجد غاز ، الكهرباء لمدة ساعة ونصف ساعة يومياً ، المياه مقطوعة في بعض الاحياء ، نقص التموين بلغ حد الكارثة . من الضروري ان تتوسطوا لدى الحلفاء طالبين الاحتلال السريع لباريس . نبهوا السكان رسمياً في أدق وأوضح عبارة ممكنة من خلال محطة الاذاعة البريطانية الى ضرورة تجنب وارسو جديدة » .

- « وارسو ! »

قالت جوسلين لنفسها وهي تتساءل في أسى :

- بل حقا وصل الامر الى هذا الحد ، واصبحت باريس مهددة بمثل الدمار الشامل الذي لحق بالعاصمة البولونية ! ..

النذر التى تبرر التوقعات المتشائمة لشابان - دلماس كانت واضحة فى كل مكان فى هذا الصباح الشمس .. صباح يوم الجمعة ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٤ ..

وزراء حكومة فيشى هربوا ، تاركين وراءهم فراغا سياسيا صارخا ، السلطة المدنية التى تبقت كانت قد تعفنت وأصبحت تنتظر ضربة أول يد جريئة لتتهاوى . الصحافة المتعاونة مع الالمان اختفت . السكك الحديدية اضربت وكذلك « المتروهاات » والبريد والبرق والشرطة وحتى بنك فرنسا . وقبل كل شئ .. المدينة نفسها كانت مستعدة للتمرد .

فقد أحس سكان باريس الذين أوجعهم ذل اربع سنوات من الاحتلال ، والذين جاعوا ، والذين ملأوا الشوارع من غير ان تكون هناك سلطة مدنية تكبح جماحهم .. أحسوا أن ساعة الثأر قد دنت .

كل شئ كان قد اصبغ مهيا فعلا للثورة التى كانت التعليمات الصادرة لشابان - دلماس تقضى بمنع قيامها . لم يعد يلزم لاشعالها الا شئ واحد ، هو صوت قوى يطلق صيحة الحرب « الى الاستحكامات » . وكان الحزب الشيوعى قد اصبغ مستعدا الآن لتقديم ذلك الصوت القوى .



كان ميدان « بيتى كلامار » الذى يقع على بعد سبعة أميال جنوب كاتدرائية نوتردام خاليا تماما عند الظهر ، الا من شخص واحد انحنى يصلح عطلا فى دراجته تحت لوحة اعلانات قديمة ..

جاء « الكولونيل رول » على دراجته من طريق باريس الى ذلك الميدان وبعد أن دار حول جزيرة المرور التى تتوسطه فى

كسل وصل الى صاحب الدراجة المعطلة ، وسأله اذا كان يستطيع أن يقدم له اية مساعدة . وتبادل الرجلان بضع كلمات، نهض بعدها صاحب الدراجة المعطلة وركب دراجته ومضى . . . وتبعه رول على دراجته . . .

كانت تلك هي المرة السادسة خلال ثلاث ساعات التي بعيداً فيها عامل المناجم ريمون بوكيه تمثيل نفس المشهد القصير الذي انتهى منه الآن تحت لوحة الاعلانات القديمة . وفي كل مرة كان يقود مارا مختلفا يعرض عليه مساعدته الى نفس المكان الذي يقود رول اليه الآن ، وهو بيت حقير سقفه من الصفيح في نهاية شارع الالزاس في ضاحية كلامار .

هناك وراء قطعة أرض صغيرة مزروعة بالخضروات يحيط بها سور خشبي متداع ، وداخل غرفة لايزيد حجمها عن زنزانة راهب ، جلس الأعضاء الخمسة للجنة باريس للتحرير ، وقد التصقت قمصانهم التي بللها حر الغرفة الصغيرة ببعضها .

واتخذ « أندريه تولليه » الشيوعي العصبي النحيل الذي يرأس اللجنة اول قراراته لذلك اليوم ، وهو قرار بمنع التدخين في ذلك الاجتماع . فقد أراد أن يطمئن الى أنه لن يصدر عن اجتماعهم ظهر ذلك اليوم أى شيء يمكن أن يكشف عن مكان انعقاده .

انه لا يستطيع أن يغامر بحدوث أى شيء يمكن ان يعطل هذا الاجتماع . لقد دعا هؤلاء الرجال الى هذا البيت المهجور لاتخاذ أخطر قرار طولبت لجنته بأن تتخذه ، وهو قرار كان « تولليه » يدرك جيدا انه يمكن ان يؤدي الى تحطيم أجمل مدينة في العالم ، وان يكلف الافا عديدة من سكانها أرواحهم .

فى ذلك الكوخ الأيل للسقوط الواقع فى نهاية شارع ريفى
طلب « اندريه توليه » من الأربعة الآخرين أن يوافقوا على
نشوب ثورة مسلحة فى شوارع باريس .

كان « توليه » قد تلقى أمرا من رؤسائه فى الحزب منذ ثمان
وأربعين ساعة ، باستصدار ذلك القرار . . . وكان ينبغي عليه
ألا يغادر ذلك الاجتماع إلا بعد أن يحصل على الموافقة عليه لكى
تكتسب الحركة التى سوف يبدأونها فى القد - أيا كان ثمنها -
الشرعية السياسية .

حتى اللصقات التى تنادى المدينة الى حمل السلاح كان قد
تم طبعها وتخزينها بعناية فى أحد مصانع « مون روج » .

وكانت خطة الحزب بسيطة . كان واثقا من أن الثورة التى
يدبرها لا يمكن وقفها اذا بدأت . وفى هذا الاجتماع السرى
للجنة له السيطرة عليها ، سوف يحصل على قدر من الفطياء
السياسى يبرر أعماله . بعد ذلك يبدأ الثورة وهو واثق من أنه
سينضم اليه فيها الاف من أعضاء حركة المقاومة الوطنيين غير
الشيوعيين ، الذين يتحرقون لهفة لمقاتلة الألمان . وعندما يعلم
الديجوليون بالقرار الذى تم اتخاذه ، ستكون الثورة قد أصبحت
أمرا واقعا ، وستكون قد مضت فى طريقها بقيادة شيوعية .

لم يبق إلا شئ أساسى واحد لنجاح الخطة ، هو أن يظل
شابان - دلماس والكسندر بارودى وبقية زعماء الديجوليين
الكبار يجهلون كل شئ عنها الى أن يكون الوقت الذى يمكنهم
فيه أن يوقفوا الثورة قد فات .

بعد ساعتين ، تسلل الرجال الخمسة من الكوخ الصغير
واحدا بعد الآخر ، وكان توليه آخر المنصرفين . . كان ممثلا
عزما وتصميما وتغمر نفسه السعادة . . لقد انتصر .

سيحقق هو والحزب الذي يمثلهم ، وهى الثورة التى
طلب شارل ديغول والحلفاء منع قيامها . وسوف نبدأ بغير علم
شبابان - دلماس وبقية قادة الديجوليين فى صباح اليوم
التالى .



فى فناء سجن « فريسن » رأى لويس أرمان الحراس يتقدمون
من مجموعة الواحد والعشرين سجيناً التى كان هو أحد أفرادها،
وينطقون كلمة المانية واحدة هى : « راوس » أى « الى الخارج »
.. فخرج من بوابة السجن رجلاً حراً . وقد كان آخر المساجين
السياسيين الخمسمائة والاثنين والثلاثين الذين تم الافراج عنهم
هذا الصباح .

ومن نافذته المفظة بالقضبان الحديدية . رآه فيلى فاجنيخت
- الجندى الالماني المسجون بسبب ضربه لاحد الضباط - وهو
يخرج .. مثلما كان قد رأى قافلة المساجين المرحلين وهى
تغادر السجن منذ ثلاثة ايام .

وسأل فيلى نفسه فى مرارة :

- اليس هناك حد لغباء تصرفات الجيش الالماني ؟!

لقد رأى بعينه جميع المساجين الفرنسيين يغادرون السجن
بينمابقى هو - الالماني - فيه .. فهل جن الالمان حتى لم
يعودوا يسجنون فى فرنسا غير مواطنيهم الالمان ؟!



فى محطة السكة الحديد بمدينة نانسى ، وقفت مارى - هيلين
ليفوشو تراقب القطار الذى توقف فيها ، والذى يحمل زوجها
الى أحد معسكرات الاعتقال فى المانيا فى احدى عربات نقل المواشى

التي يجرها .. وكانت قد تابعت ذلك القطار على دراجتها
مسافة ١٨٣ ميلا - أى ثلاثة أرباع المسافة الى المانيا - خلال
يومين ونصف يوم دون نوم أو راحة .

واعترفت بينها وبين نفسها فى حزن شديد بأن هذه هى نهاية
رحلتها .. فهى لم تعد قادرة على مواصلة السير .

كانت الشمس تحرق أسقف الصفيح التى تغطى العربات ،
منما كانت تحرقها يوم عيد صعود السيدة العذراء .

وكانت ماري - هيلين تستطيع أن تسمع اصوات الرجال
الذين فى داخلها وهى تستجدى فى ضعف ويأس جرعة ماء .
ومن حين لآخر كانت تصل اليها اصوات أشهد هولاء ، هى
الصرخات الحادة المجنونة التى يطلقها سجين أصيب بانهايار
عصبى .

وكان كل صوت يصدر عن عربات المواشى يجسدد عذابها
ويزيده وهى واقفة تحديق فيها فى يأس .

واخيرا شاهدت عددا من الحراس ومن عمال السكة الحديد
يجرون بجوار القافلة .. وبعد قليل رأت القطار يتأهب
للسير من جديد .

فقد افلحت جهود القنصل السويدى العام نوردلنج ، وصاحبه
« بوبى » بندر فى انقاذ المساجين الذين بقوا فى باريس ، ولكنها
عجزت عن منع هذه القافلة الاخيرة من المساجين المرحلين من
مواصلة السير . لقد رفض الجستابو رفضا قاطعا ان يتنازل
عن تلك الحمولة من « البؤس الانسانى » .

وسمعت ماري - هيلين مرة ثانية انغام النشيد الوطنى
الفرنسى « المارسيليز » تنبعث من العربات بينما القطار يندفع

خارجا من المحطة ، مثلما سبق لها أن سمعتها عند خروج القطار
من محطة « بانتان » .

وظلت ماري - هيلين واقفة بلا حراك في مكانها ، الى ان
اختفى القطار عن نظرها تماما ، ومات آخر صدى لصوته المزعج
في المحطة الخالية .

وعندما استدارت لتخرج من المحطة ، كان القطار قد بدأ
يصعد تلال الالزاس المغطاة بكروم العنب متجها نحو ستراسبورج
ثم الراين ..

بعد ذلك لن يتوقف القطار الا لينزل ركابه الذين هبط عددهم
في اثناء الرحلة الى ٢٤٥٣ عند ابواب معسكر رافنسبوك وبوخنفالد .

من اولئك الرجال والنساء الـ ٢٤٥٣ ، لن يعود الى فرنسا
بعد ذلك الا اقل من ٣٠٠ ، هم كل من تبقىوا منهم احياء !



ظل الرجل الواقف في الشرفة ينظر الى الفئساء الى ان رآها
تختفي على دراجتها وراء ناصية شارع « مونمارتر » . عندئذ
أخرج سيجارة من جيبه واشعلها وجذب منها نفسا في ارتياح ،
وقال « ايف بايه » ذو الاربعة والثلاثين عاما لنفسه ؛

ـ هذه المرة ، اعتقد اننا سننجح .

كان « ايف بايه » هو رئيس مجموعة الديجوليين بين أعضاء
حركة المقاومة السرية في قوة شرطة باريس ، وهي إحدى
المجموعات الثلاث التي تكافح من أجل السيطرة على العشرين
الف شرطى الذين تتألف منهم تلك القوة ، والذين اراد الكولونيل
الشيوعى « رول » ان يضمن امتثالهم لاوامره .

وكانت الفتاة « سوزان » التي انطلقت على دراجتها القديمة بينما تابعها بنظره هي مندوبة الاتصال الملحق به .

وهي تحمل معها الآن وهي في طريقها الى « بورت دى شانينون » ثلاثة ظروف مخبأة داخل بطاقة حقيبة اليد الكبيرة التي علقتها بكتفها ، وتحتوى على ثلاث رسائل متشابهة موجهة لكل من المجموعات الثلاث داخل حركة المقاومة السرية في قوة الشرطة .

وكان باييه يعرف ان تلك الرسائل هي اخطر الرسائل التي كلف بارسالها في حياته .

كانت الساعة تقترب من الثامنة .. وبعد ساعة يبدأ منع التجول الذي فرضه الحاكم العسكري لمنطقة باريس الكبرى . وهكذا فان سوزان امامها الوقت الكافي بالضبط لايصال الظروف الثلاثة الى المقهى الذي يستخدمه « ايف باييه » كمكتب بريده وللعودة .

وابتسم « ايف باييه » في سخرية وهو يقول في نفسه ان نظام منع التجول الذي فرضه الجنرال « فون شولتزن » سوف يخدم في هذه الليلة قضية الجنرال ديجول !!

فهذا النظام سوف يمنع احد الظروف الثلاثة التي تحملها سوزان من الوصول الى هدفه قبل الصباح ..

وهذا هو ما يريد « باييه » بالضبط !

الرسالة التي لن تصل الى الجهة المرسل اليها في هذه الليلة ، موجهة الى اكبر واقوى الكتل في حركة المقاومة في قوة الشرطة وهي الكتلة التي يسيطر عليها الحزب الشيوعي .

وفى هذه الليلة سيكون الشيوعيون انفسهم هم ضحايا ولهم الخاص المبالغ فيه باجراءات الامن . فعلى عكس المجموعتين الاخرين ، فان الرسائل الموجهة الى الشيوعيين كان ينبغى ان تمر بمستودعين للرسائل لا مستودع واحد قبل ان تصل الى هدفها . وعلى هذا فان الرسالة التى تحملها « سوزان » اليهم سوف تقضى الليلة مجمدة فى صندوق البريد الثانى الخاص بهم .

* * *

أحست « سوزان » بسرعة دراجتها تتضائل ، فأنحنت فوق يدها وعرفت السبب . . لقد كانت عجلتها الامامية تفقد هوائها . . وبعد بضع دقائق نامت تماما ، بينما لاتزال « سوزان » على بعد نصف ساعة من المكان الذى تتجه اليه . وحاولت وهى تلعن الحظ السيئ ان تنفخ العجلة . ولكن الهواء كان يخرج من اطارها الممزق بنفس السرعة التى كانت تدخله بها .

وسمعت خلفها صوت عجلات أخرى تتوقف ، فتلفتت لتجد احدى سيارات هيئة اركان الحرب الالمانية تقف بجانبها وسائقها يقفز منها فى حركة سريعة وينحنى فوقها . وعرض الضابط الالماني الشاب مساعدته فى لغة فرنسية سليمة تماما على الفتاة الباريسية الحسناء ، فناولته « سوزان » المنفاخ ولكن محاولاته مع العجلة لم تكن اكثر توفيقا من محاولاتها . . فعرض عليها شيئا آخر ، هو ان يوصلها بسيارته الى المكان الذى تود الذهاب اليه . .

ترددت « سوزان » لحظة خاطفة . . ثم قبلت دعوته وصعدت الى السيارة بجانبه ، ووضعت على ركبتها حقيبة يدها التى كانت تحتوى على ما هو بمثابة اعلان حرب على محتلى باريس الالمان !!

كان الكسنسدر بارودى ، الرئيس السياسى للديجوليين فى حركة المقاومة فى فرنسا ، قد ابلغ بواسطة واحد من اعضاء لجنة « اندريه توليه » يتعاون سرا معه ، بأن الشيوعيين سوف يبدأون ثورتهم المسلحة فى اليوم التالى ، فاتخذ بارودى الذى فوجئ بهذا النبأ الخطير ، قرارا جريئا .

اذا كان الشيوعيون قد قرروا أن يتحركوا ، فسوف يتحرك هو أيضا . . ولكن حركته ستكون أسرع من حركتهم . سوف يحرمهم من أهم مبنى عام فى باريس ، وهو المبنى الذى يكاد يكون مدينة داخل المدينة . سوف يحرمهم من مبنى رئاسة الشرطة .

وكانت الرسائل التى تحملها سوزان فى حقيبتها تتضمن تعليمات الى رجال شرطة باريس بأن يتجمعوا فى اليوم التالى ، التاسع عشر من أغسطس ، فى الساعة السابعة صباحا ، فى الشوارع المحيطة بتلك القلعة الهائلة التى لا تبعد الا بضعة خطوات عن كاتدرائية نوتردام . ومن هناك وبقيادة « ايف بابيه » سوف يستولون على مبنى رئاسة الشرطة .

ابتسمت سوزان فى فتور للضابط الالامى وهى تنزل من سيارته واغلقت بابها وراها ، ودخلت احد المقاهى ، وفى مراحض المقهى أخرجت الظروف الثلاثة من حقيبة يدها ، بعد بضع دقائق سلمت تلك الظروف الى ابن صاحب المقهى من تحت الصينية الخشبية المستديرة التى حمل اليها عليها كوب عصير الليمون الصناعى .

وكانت الساعة حينئذ هى الثالثة والنصف .

فى الغد ، وتحت احجار كاتدرائية نوتردام التى يبلغ عمرها ثمانمائة سنة ، سوف يلتقى رجال شرطة باريس فى اول موعد مع الثورة المسلحة التى حضر لها الشيوعيون بكل دقة وعناية . . ولكن الحزب الشيوعى لن يحضر ذلك اللقاء !

كانت جبال الاطلس فى مراكش تبدو قرمزية اللون تحت
أشعة الشمس الغاربة للكابتن « النقيب » كلودجى . . من
داخل الطائرة من طراز « لوكهيد لودستار » التى تحمل اسم
« فرانس » والتى كانت تحلق على ارتفاع عشرة الاف قدم
فوقها . .

امام كلود جى كان يجلس الجنرال شارل ديجول واضعا
سيجارا فى فمه ، وغارقا فى افكاره . .

وكان « جى » - ياور ديجول - يعرف ان الجنرال يكره
السفر بالطائرات وانه نادرا ما يتكلم فى اثناء الرحلات الجوية ،
ولذلك فهو لم يندهش للصمت الذى لزمه ديجول منذ غادرت
الطائرة الجزائر قبيل ثلاث ساعات ، لتقطع أولى مراحل الرحلة
التى ربما كانت أهم رحلة جوية قام بها ديجول منذ طار من
فرنسا فى شهر يونيو سنة ١٩٤٠ .

وكانت أولى الحوادث المزعجة التى كان مقدرا لها ان تصاحب
تلك الرحلة قد وقعت فى الجزائر قبل ان يغادرها ديجول ،
وأخرت سفره الى الدار البيضاء عدة ساعات .

فالقيادة العسكرية الامريكية فى الجزائر ، كانت تخشى الا
تستطيع طائرة ديجول « اللودستار » هذه أن تقطع المسافة
الطويلة بين جبل طارق وشربورج فى فرنسا ، وألا يتسع
خزانها للوقود الذى تتطلبه تلك المسافة ، ولذلك وضعت طائرة
من طراز « ب - ١٧ » بملاحيتها الامريكيين تحت تصرفه .

وقد قبل ديجول هذا العرض على مضض ودون ان يكون
راضيا عنه . . ولكن عندما هبطت الطائرة الامريكية فى مطار
« ميزون بلانش » فى الجزائر لتأخذ ديجول ، تخطت ممر الهبوط
ومزقت جزءا من بطنها .

لم يصدق ديجول أن هذا الحادث قد وقع قضاء وقدرًا ،
وانما فسره على أنه جزء من خطة أمريكية موضوعة تستهدف
تأخير عودته الى فرنسا ، وقد نظر الى الطائرة المعطلة وقال في
سخرية لمن كانوا يحيطون به في المطار :

**— هل تظنون أن الحب والمودة هما اللذان دفعاهم الى عرض
طائراتهم على ؟!**

ولكن « جى » كان مطمئنا الى ان هذه المشكلة قد انتهت ..
فطائرة أمريكية أخرى من طراز « ب — ١٧ » أيضا كانت سوف
تقابلهم في الدار البيضاء .

أما الرجل الذى كان جالسا أمامه ، فقد انهمك فى التفكير فى
مسائل اكبر وأكثر تعقيدا .. بالنسبة لديجول ، كان هذا هو
بداية نهاية الطريق الطويل الذى كان قد بدأ بالنداء الذى وجهه
يوم ١٨ يونيو سنة ١٩٤٠ .

فى نهاية الطريق تقع باريس ، المدينة التى كان ديجول قد
غادرها كضابط مغمور برتبة « جنرال دى بريجاد » — أى عميد —
منذ أربع سنوات .

من أجل أن يصل اليها ، كان ديجول مستعدا لان يتحدى
حلفاءه ، ولان يخلق خصومه السياسيين ، وحتى لان يخاطر
بحياته ..

ففيها ، وفيها فقط سوف يجد السؤال الذى انطوت عليه
حركته الجريئة قبل أربعة أعوام ، الاجابة عليه .

سوف يبدو غريبا بعد ذلك ألا يكون ديجول قد عرف سلفا
ما سوف تكون عليه الاجابة .

أما « جى » فقد كان يعرف أثناء تلك الرحلة. أن ذهن ديجول لا يزال نهبا للشكوك والتساؤل . ما كان يشغله قبل كل شيء آخر هد انه لم يعرف بعد ما اذا كان شعب فرنسامستعدا لقبوله كزعيم له . وكان ديجول يدرك ان هناك مكانا واحدا فقط يمكنه ان يعرف فيه الرد على هذا السؤال ، وهو شوارع باريس . .
في تلك الشوارع ، وبعد اسبوع واحد فقط . . كان راكب طائرة اللودستار (فرانس) الواجم ، على موعد مع التاريخ .

هل ياريس تحرق؟

أخطر سؤال وجهه هتلر
إلى هيئة أركان حربه أيام الحرب!

هل ياريس
تحرق؟

اقرأ قصته بليغة في

الكتاب الذي أثار
ضجة عالمية واستغرق
إعداده ثلاث سنوات

يقدمه: عميد الإعلام

كتاب الجمهورية

الجزء الثاني .. يصدر في أول يونيو

مجلة

العلم والحياة

مؤسسة للثقافة العلمية الجماهيرية

تقدم

أحدث ما حققه
العلم من أجل الحياة

٩٦ صفحة من القطع الكبير
مع صفحات كوشيه بالألوان

العدد

١٥

قرشا

العدد الثاني
يصدر يوم ٧ مايو



على ملصقات وللافتات

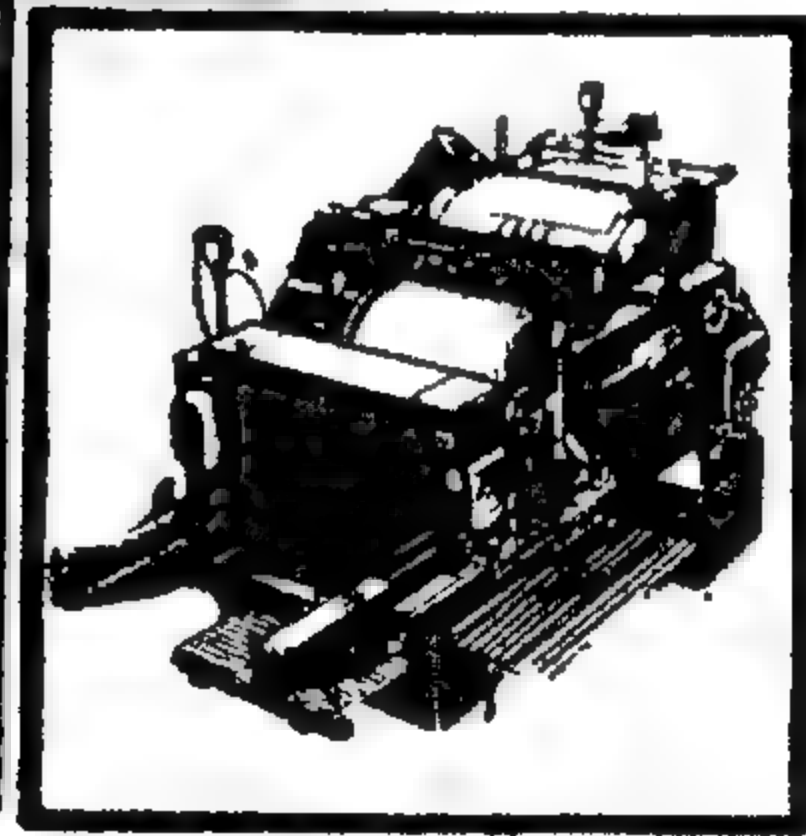
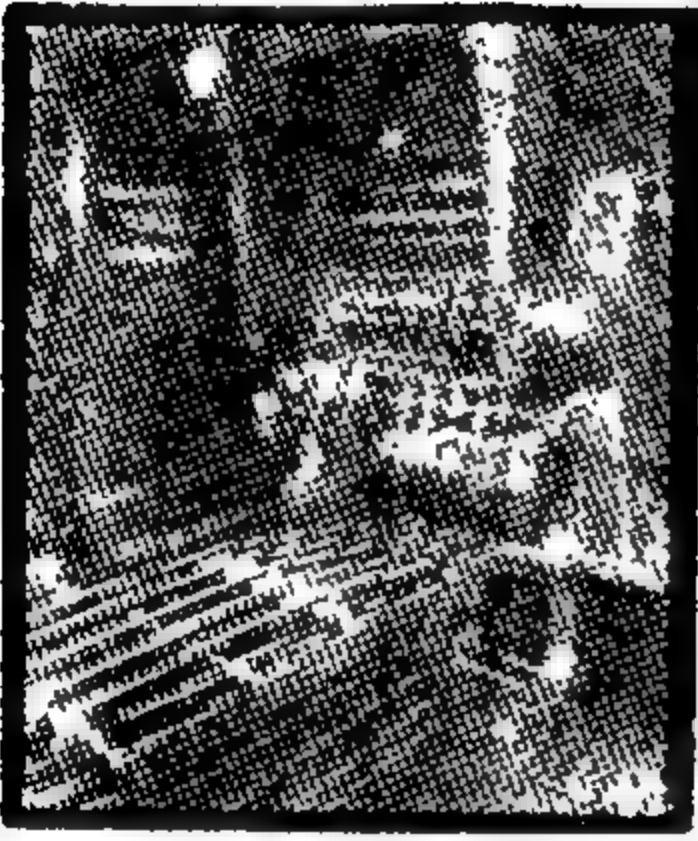
شركة الإعلانات المصرية

المنتشرة في كل مكان

القاهرة : ٢٤ شارع زكريا أحمد - ت ٧٦٧٠٠
الإسكندرية : ١ شارع الدكتور أحمد عبد السلام - ت ٢٧٣٦٦



لا شك
أن الفارق كبير
بين ماكينات
القرن الـ
١٥



ربين ما تجده
من أحدث
آلات الطباعة في

شركة الاعلانات الشرقية



إحدى شركات مؤسسة دار التحرير للطبع والنشر



يعبر هذا الطريق الذي يربط القاهرة
بالأسكندرية . مئات السيارات كل يوم

ويقرأ كل راكب إعلانك
الملفت الجذاب .. فيظل
اسم سلعتك عالماً بالآذهان

صاحبة امتياز الإعلان بعلامات الطرق الكيلومترية

شركة الإعلانات المصرية

القاهرة ٢٤ شارع زكريا أحمد - ت ٧٦٧٠٠
الأسكندرية ١ شارع الدكتور أحمد عبد السلام - ت ٢٧٣٦٦



عشرات النجوم السدينا

اكتسبوا شهرتهم
عن طريق



ونفس الشهرة لسلعتك
تستطيع أنت تحقيقها
بالاعلان عنها في

السدينا

صاحبة الامتياز :
شركة الاعلانات المصرية
القاهرة : ٢٤ شارع زكريا احمد - ت ٧٦٧٠٠
الاسكندرية : ا.م. الدكتور احمد عبدالسلام - ت ٢٧٢٦٦



تسهر سسلكتى

تسبقرها الى كل مكان - من القاهرة الى اموان



عن طرقت

الإعلان بمحطات السكك الحديدية

يقتروها..

المسارون والمودعون من جميع الطبقات

شركة الإعلانات المصرية

صاحبة امتياز

الإعلان بمحطات السكك الحديدية

القاهرة : ٢٤ شارع زكريا أحمد - ت ٧٦٧٠٠

الاسكندرية : ١ شارع الدكتور أحمد عبد السلام - ت ٢٧٣٦٦





دار الإكتفاء للفنون
(دار التحرير للطباعة والنشر)

هذا الكتاب ..

أصدر هتلر أمراً إلى قواده بتدمير باريس - أجمل عواصم الدنيا - قبل أن تنسحب جيوش الاحتلال الألمانية منها وتدخلها قوات الحلفاء ..

وجاء في ذلك الأمر العسكري الرهيب :

« إن باريس يجب ألا تسقط في يد العدو .. ولكن إذا حدث ذلك ، فيجب ألا يجد العدو فيها شيئاً غير أكوام من الحطام » !
لكن القدر تدخل لينفذ باريس بما يشبه المعجزة !!

● كيف نجت باريس من المصير الكئيب الذي أعده لها الطاغية النازي ؟!

● كيف عاشت الأيام العصيبة التي كانت تنتظر خلالها أن يحل بها الدمار الشامل ؟!

● كيف استطاعت أن تقوم بثورة مسلحة ضد قوات الاحتلال في الوقت الذي كانت فيه تلك القوات تستعد لتحويلها بأكملها إلى أنقاض ؟!

● ما هو الرد الذي تلقاه هتلر من كبير قواده عندما أراد أن يتأكد من أنه قد بدأ بالفعل تنفيذ الأمر الذي كان قد أصدره بعدم ترك باريس للحلفاء ، إلا بعد أن تكون قد التهمت النيران ، فسأله - هل باريس تحترق ؟!

« عميد الإمام »

